

روايات مصرية للجيب
25
ماوراء الطبيعة
أسطورة
الجنرال العائد
www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

أنا د. (رفعت إسماعيل) الذى أفنى سبعين عامًا من عمره ـ تقريبًا ـ مع قصص الأشباح ، جوار توابيت مصاصى الدماء الذين يصحون دائمًا حين لا تريد ذلك ، ومع المذءوبين الذين يتحولون دائمًا حين لا تتوقع ذلك ، ومع لعنات سحرة الماضى التى تطاردك دائمًا حين لا تنتظر ذلك ..

يا لها من حياة حافلة تلك التى عشت ...!

أرى ـ كما فى كل مرة ـ وجوهًا جديدة لم أسعد بلقائها بعد .. ويبدو أن منها وجوه من بلغوا سنّ القراءة فجأة .. ومنها وجوه من عادوا إلى القراءة فجأة .. ووجوه من كانوا يعتبروننى سخيفًا ثم عدلوا عن رأيهم فجأة ..

المهم أن تزداد الوجوه من حولى لأن هذا يسعد قلبى الشيخ وألا تقل الوجوه لأن .... لحظة ! هناك وجهان ليسا هنا هذه المرة ! ابحثوا عنهما من فضلكم فأنا أمقت أن أفقد واحدًا من قرائى .. ابحثوا بدقة ..

آه !.. هاهما ذان .. أين كنتما أيها الشيطانان ؟

لا تعابثا الشيخ (رفعت إسماعيل) ثانية ، فهو فى سن لايتحمل الدعابات القاسية ..

اليوم أحكى لكم قصة (المزبيرة) ...

ولكن .. لماذا أنتم غاضبون ؟ تقولون إننى لم أستكمل قصة (إيجور) بعد ؟ لكنى أكملتها .. لم يحدث ؟ حقًا ؟

معذرة .. لقد نسيت .. لكنى فى هذه المرة لن أكرر ما حدث مع قصة (النافاراى) ، فقد أثار هذا عاصفة من الحنق حولى لم تهدأ بعد .. سأحكى لكم باقى القصة (وهى ما زالت ساخنة) إن صح التعبير .. أين كنا قد وصلنا ؟..

آه ! تذكرت .. حكاية (إيجور) بعد ما نزح إلى (مانهاتن) ، وأحبَّ وأضاع حبّه .. ثم انتقامه المروّع ممن سلبه حبيبته ..

كان هذا فى عام ١٩٥٣ حين كان (إيجور) فى السادسة عشرة من عمره ..

دعونا نواصل القصة إذن .. ولكن سأكتب قبلها صفحة أو اثنتين كى نتذكر ما حدث فى الكتيب الأول .....

فلننعش ذاكرتنا !

مولود فى (بولندا ـ وارسو) عام ١٩٣٧ ، وابن لأبوين بارّين يعيشان حياة هادئة .. هذا هو (إيجور تاركوفسكى) بطل قصتنا ..

النازى يستولى على (وارسو) .. الجنرال السفاح (سيدلتز جابلر) يزيل قطاعًا كاملاً من المدينة من الوجود .. فى وسط النيران ، والصخب يفقد (إيجور) ـ ابن السنوات الخمس ـ أسرته ووعيه ، ويتم إنقاذه من تحت الرماد الملتهب ، قد صار إنسانًا جديدًا ...

وينزح الصبى مع العم (أندريه) إلى العالم الجديد (أمريكا) فارّين من (بولندا) التى تحولت إلى جحيم حقيقى ، لكن (أندريه) السكير العجوز البائس لا يعيش فى (أمريكا) كثيرًا لأنه بلغ لحظة النهاية ..

وهنا يجىء دور أبوين بالتبنى يكفلان اليتيم البولندى الصغير ، لكن دون حبّ حقيقى .. مجرد الحاجة إلى أن يكون لديهما طفل ..

ويدرك (إيجور) أن القليلين جدًا يحبونه أو يرحبون به ..

فهو يملك موهبة لا يدرى كيف ظهرت فجأة .. إنه قادر على اختراق أذهان الآخرين وسماع أفكارهم بوضوح تام .. لكن هذا يظل سره الذى لا يصارح به أحدًا ...

وكالعادة يبدأ بعض الصبية فى التحرش به .. فهو أجنبى ضعيف حساس هشّ ، ويكون عقابهم له فريدًا : عليه دخول المنزل المسكون لآل (كيلى) وقضاء ليلة كاملة فيه ..

ويقبل الصبى التحدى ويدخل البيت ؛ ليفاجأ بأن أسرة (كيلى) ما زالت هناك فى صورة شبحين يبحثان عن قاتلهما ..

هكذا يتم التعاون بين (إيجور) وبينهما ، هما يثيران الرعب فى قلوب عصابة الصبية ، وهو يتصل بالشرطة لتقبض على قاتل الزوجين الذى مازال حيًا وحرًا .

وهنا ندرك حقيقة مهمة .. أن كل الأشرار فى العالم هم - بالنسبة لـ (إيجور) - صورة مكررة من الجنرال السفاح (جابلر) ..

* * *

بعد أعوام ستة قابلنا (إيجور) طالبًا فى المدرسة الثانوية ، وقد بدأ الحب يتحرك فى قلبه المراهق تجاه (جلاديس) ..

لكن (جلاديس) تتبدل .. لأن هناك من يدعى (هارى كارلسون) ، وهذا الـ (هارى) من الطراز الذى لاتستطيع فتاة أن تقاومه ..

لكن (هارى) يملك مزية أخرى : إنه نذل كبير .. وبمجرد أن يستوثق من أن الفتاة قد هامت به حبًا يتخلى عنها ، غير مبال بأنه هشم روحها الحساسة للأبد ..

يا للشقاء ! يصمم (إيجور) على الانتقام ويدعو (هارى) إلى مبارزة من نوع خاص جدًا .. مبارزة بالسمّ ... ويوافق (هارى) الذى لم يرفض تحديًا فى حياته كلها ..

لكن (إيجور) يتلاعب به ، ويتضح أن القارورتين خاليتان من السم ، لكن قوة الإيحاء غير العادية لـ (إيجور) تجعل (هارى) يشعر بالسمّ يمزق أحشاءه ويملأ الدنيا صراخًا .. ويغدو مهرج المدرسة وموضع سخريتها ..

إن الشرّ والقسوة هما عدوا (إيجور) .. وهو قادر دومًا على أن يرى فى كل شرير قاس وجه عدوه (جابلر) ..

ترى هل يلتقى الشتيتان ؟..

هل يبدأ الصراع الذى انتظر كل هذه الأعوام ؟..

من هنا يبدأ الجزء الرابع من قصتنا ..

* * *

الجزء الرابع

(مانهاتن) ـ ١٩٦٠

- ١٠ -

أدار البروفسور (شلوفسكى) جهاز التسجيل ، فانبعث الصوت الهادئ للبكرتين إذ تدوران بتؤدة .. ثم عبر الغرفة ليدير جهازًا آخر راح يبعث خلفية هادئة للمحادثة .. موسيقا رخيمة سماوية ..

سأل (إيجور) بالبولندية :

- « هل تحب (موتسارت) ؟ »

ردّ (إيجور) وهو يسترخى على الأريكة مغطيًا عينيه بظهر كفه :

- « أفضل (البيتلز) .. وأرجو ألا تعتبر هذا دلالة على ضحالة ثقافتى .. »

أشعل الرجل غليونه ، وراح يطلق الدخان فى دفعات قصيرة متتالية .. ثم غمغم :

- « بف ف فه !.. بالعكس .. الموسيقا بالذات .. ف ف ! لا تحتاج إلى أى تحيزات مسبقة ولا يمكن أن ترغم أذنك على أن تحب (موتسارت) لمجرد أنه (موتسارت) بف ف ف ! »

لكنه لم يغيّر اللحن برغم كل هذا ..

جلس على الأريكة مسترخيًا وهو يجذب الدخان فى نهم .. وتساءل واضعًا ساقًا على ساق :

- « الآن ما هى تطورات حالة الصرع هذه ؟ »

قال (إيجور) وهو ينظر إلى السقف :

- « لا جديد .. إنها تحدث كل أسبوعين كما كانت فى البداية .. هناك هذا التوجس والشعور بقدوم كارثة .. ثم .. ثم الشعور بأن ذراعى وقدمى تتحرران من سيطرتى .. ، ويتبدل العالم من حولى .. كل الأضواء تسطع أكثر من اللازم .. حتى الهمس يغدو عاليًا مرهقًا للسمع ، ثم يسود الصمت .. صمت ثقيل كئيب أشبه بالصمت الذى ساد الكون بعد الطوفان .. والظلام .. الظلام البكر الأولى من قبل خلق الكون ذاته .. »

- « وحين تفيق ؟ »

- « الصداع .. كما فى كل مرة .. الصداع .. »

كانا يتحدثان البولندية .. فكلاهما بولندى يقيم فى الولايات المتحدة ، وكلاهما يشعر بالراحة عند استعمال لغته الأصلية كأنما يجرب حذاءً قديمًا مريحًا اعتادته قدماه ثم لفظه واستعمل حذاءً جديدًا ضيقًا ..

قال البروفسور (شلوفسكى) وهو يتأمل (إيجور) مليًا :

- « (إيجور) .. أنت الآن شاب ناضج فى الثالثة والعشرين .. ويمكنك أن تفهم ما أقول ، لقد رأيت تقرير المختص فى الأمراض العصبية ، وعرفت أن رسم المخ الخاص بك سليم تمامًا ، كما أن أشعة المخ والدماغ طبيعية ولا غبار عليها ، وهذا يعود بنا إلى ما قلته لك .. الهستيريا .. تفاعل الهروب من ضغوط خارجية لا مفرّ منها بالنسبة لك .. أعنى أن مرضك نفسى تمامًا وليس صرعًا على الإطلاق .. »

همس (إيجور) وهو يعيد تغطية عينيه :

- « نفسى ؟ ولماذا ؟ لا توجد لدىّ مشاكل نفسية ... »

قاطعه البروفسور فى عصبية :

- « حينما يقول لى مريض إنه فقد أباه وأمه فى الحرب أمام عينيه ، وهاجر من وطنه إلى وطن يمقته الجميع فيه ، عندما يقول لى : إنه دون مشاكل نفسية فإننى أتهمه بالسخف ! »

- « ولكن .. لماذا الآن بالذات ؟ »

- « لأن الضغوط وصلت ذروتها الآن بالذات .. »

وفى أعماق ذهنه سمع (إيجور) البروفسور يغمغم فى نفاد صبر ... » :

« هلم أيها الأحمق .. لن أقضى اليوم معك ها هنا .. أخرج ما بأعماق عقلك الباطن الخرب هذا .. ألق بكل القاذورات والقطط المتعفنة وأمعاء الخنزير على مائدتى .. ثم انصرف مستريحًا مطمئنًا إلى نظافة روحك ..! »

قال (إيجور) وهو يجلس بعد وضع الرقاد الذى أرهقه :

- « لكى أخرج ما بروحى من قاذورات ، يجب أولاً أن أعرف مكانها ! »

- « هذا ما نحاول عمله الآن .. »

وفى سرّه تساءل البروفسور :

- « كيف عرف مصطلح القاذورات هذا ؟ هووم .. صدفة غريبة حقًا .. كأنما كان يصغى لأفكارى ! »

لدهشته رأى (إيجور) يبتسم بسمة ذات معنى ، رآه ينهض فى تؤدة إلى جهاز التسجيل ليغلقه .. ثم يعود إلى الأريكة ليقول له وهو يبتسم ذات البسمة الغامضة :

ـ « هذا صحيح .. »

ـ « ما هو الصحيح ؟ »

ـ « إننى أصغى لأفكارك حقًا .. وهذه هى مأساتى .. »

★ ★ ★

هذه المرة قضيا ساعتين فى الكلام ..

كان البروفسور يعرف أن كل هذا ممكن ؛ فهو على قدر من الثقافة والعلم جعلاه يقرأ الكثير من القصص المماثلة .. لكنه لم يتوقع قط أن يلقى أحد هؤلاء الذين سمع عنهم .. والمعجزة التى لا توصف .. معجزة أن تجد أدق أفكارك على لسان الآخرين بمجرد أن تفكر فيها ...

ـ « كيف تسمع الأفكار ؟ كيف تبدو لك ؟ »

تنهد (إيجور) :

ـ « أسمعها كأنما صاحبها يتكلم فى رواق واسع .. الصدى يتردد فى كل مكان .. لكن صوته يكون مميزًا وواضحًا .. »

ـ « والرؤى ؟.. هل ترى صورًا معينة ؟ »

ـ « أحيانًا .. وأحيانًا ما أرى صور ذكريات تتتابع هناك كأنها فى فيلم سينمائى قديم .. »



هذه المرة قضيا ساعتين فى الكلام .. كان البروفسور يعرف أن كل هذا ممكن ؛ فهو على قدر من الثقافة والعلم ..

ثم أردف بعد هنيهة صمت :

ـ « الآن ستقول لى : إن كل هذا غريب ومخيف يا (إيجور) ! »

ـ « .... ! »

ـ « هل تصدقنى ؟ »

ـ « أصدقك .. علىّ اللعنة لو لم أفعل » ـ قالها فى نفاد صبر ـ « لكنى مذهول .. كما أصدق أننى سأموت .. لكن الذهول سيغمرنى ساعة الاحتضار .. »

بعد هنيهة قال البروفسور وهو يعيد إشعال غليونه :

ـ « طبعًا كل هذا سرّ بيننا .. بف ف ف ! ما دمت قد أغلقت جهاز التسجيل .. لكن هذا الموضوع أكبر منى .. نحتاج إلى خبرة مختصّ فى علوم (الباراسيكولوجى) .. نحتاج إلى آراء الفسيولوجيين وعلماء الأمراض العصبية .. ف ف ف ! »

ـ « وهل تقترح أحدًا كبداية ؟ »

★ ★ ★

.. وهل يوجد غير د. (إدوارد مالكولم) ؟

إن هذا الرجل ـ الذى هو شاب فى الثلاثين من عمره فى الواقع ـ نَجْمة فى علوم (القدرات الإنسانية

الخارقة) أو ما يسمى فى لغة العصر بـ (الإدراك الفائق للحواس) ، له عدة مقالات كلاسيّة فى (التخاطر) ، كما أنه مهتمّ إلى حد كبير بالأحلام ، وميكانزمات النوم ، وقد أعدّ ـ بمعونة الجامعة ـ معملاً صغيرًا لدراسة هذه الظواهر .. صحيح أن رئيس الجامعة يريد نتائج ملموسة ، ويعتبره نصابًا لاخلاق له يجيد تبديد المال فيما لا طائل من ورائه .. لكن (مالكولم) كان يمرر يده على رأسه مبعثرًا شعره الأحمر الناعم .. ويزيد عينيه الزرقاوين اتساعًا هاتفًا :

ـ « بروفسور (إريكسون) .. إن هذا الحقل الذى أعمل فيه ما زال حقلاً رضيعًا .. نتائجه لا يمكن قياسها بالترمومتر .. أو جهاز الضغط .. أو رؤيتها على شاشة .. »

فيقول (إريكسون) فى غيظ وهو يتمنى خنقه :

ـ « إذن ماذا تريد ؟ »

ـ « هذا سهل .. أعطنى الوقت والمال والرجال ولسوف أصنع لك التاريخ ها هنا .. لا تتعجلنى .. إنما نحن فى لحظة ميلاد العلم الذى سيكون هو العلم الوحيد فى المستقبل .. »

ثم يعقد كفيه كأنما يصلى .. ويهمس :

ـ « دع المولود يترعرع فى هدوء .. أرجوك ! »

ـ « تبًا ! »

والآن نعود إلى بطلنا (إيجور) الذى تردد على معمل (مالكولم) فى الجامعة ، بناء على توصية من بروفسور (شلوفسكى) أستاذ الأمراض النفسية بولندى الأصل ..

لكم من اختبارات أليمة اجتازها (ايجور) حتى صدقوا أنه ليس نصابًا !.. مئات من رسوم الدماغ .. وآلاف من فحوص قاع العين .. حتى إن (إيجور) صار يتوقع فى كل ثانية أن يهشموا رأسه بفأس ، ثم يخرجوا مخه لفحصه عن كثب ..

وكانوا يجلسون (إيجور) على مقعد شبيه بكرسى كهربائى ، وقد تمّ ربط مئات الأقطاب إلى دماغه وقلبه وذراعه .. ولربما غرسوا إبرًا دقيقة فى عضلات فخذيه .. ثم يوقفون أمامه أربعة أو خمسة أشخاص ويطلبون منه أن يخمّن أفكارهم ..

وكان فى الغالب ينجح ...

إلى أن جاء اليوم الذى اصطحبه فيه د. (مالكولم) إلى مكتبه ، وجلس خلفه واضعًا ساقًا على ساق ليقول له فى مودة :

ـ « أهنئك يا مستر (تاركوفسكى) .. أنت Esper حقيقى ..! »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « أعنى أنك من المتمتعين بالإدراك فائق الحس .. »

هذا هو ما وجدوه ؟ كل هذا الجهد وكل هذا المال المبدد ، من أجل شىء يعرفه (إيجور) منذ أعوام طوال ؟!

تساءل (إيجور) فى ضيق :

ـ « وما سبب ذلك ؟ »

قال (مالكولم) وهو يتصفح ملفًا مكتنزًا بالأوراق :

ـ « الحق يا (إيجور) أنه ما من شىء مؤكد ها هنا .. إن كل من يملكون الإدراك الفائق للحواس يقولون : إنهم ولدوا هكذا .. أما أنت فإن لديك بداية قاطعة لموهبتك : يوم دفنت تحت الانهيارات فى الخامسة من عمرك .. وهذا يعنى أن نقص الأوكسجين الواصل إلى الدماغ كان له دور أساسى

في قدرتك هذه ...، ثمة مركز معين في مخك كان نائمًا ثم استيقظ حين نامت بقية المراكز ...، كان عليه أن يبقيك حيًا وعرف أن المسئولية هي مسئوليته وحده ، يمكن القول أن هذا المركز هو المسئول عن اختراق الأفكار كما تسميه ، لأنه قد استيقظ وسيظل حيًا طيلة حياتك .. »

قال (إيجور) وهو يعيد التفكير في هذه الحقائق ، كان يعرف دومًا أن هذه هي البداية وأن هجوم النازي هو السبب الوحيد لما يعانيه :

- « وهذه النوبات التي تهاجمني الآن ؟ »

قال د.(مالكولم) وهو يفرد رسمًا للمخ :

- « إن هناك تزايدًا للموجة (دلتا) في رسم مخك الكهربي .. وهذا التزايد مطرد ، لا يوجد ما يدل على ورم أو شيء مشابه في الدماغ ، لهذا نقول بكل بساطة : إن هذا الجزء يحاول أن يسيطر عليك وأن يمسك بزمام الأمور ، لكن عقلك الطبيعي يقاوم ويحاول استعادة السيطرة .. »

- « لقد فقدتني بالفعل .. »

تنحنح (مالكولم) وبحث عن كلمات أسهل :

- « يوجد طاغية في دماغك يحاول أن يحتل الدماغ كله .. لكن باقي دماغك يقاوم بعنف .. ومن ثَمّ تحدث النوبات .. ألا تجد أن موهبتك تزداد قوة يومًا بعد يوم ؟ »

همس (إيجور) في ألم :

- « بلى .. في البدء كانت لحظات (الاختراق) غير اختيارية ونادرة .. ثم صارت اختيارية .. اليوم هي غير اختيارية من جديد لكنها تحدث طيلة اليوم .. »

قال (مالكولم) وهو يغلق الملف :

- « تلك هي مشكلتنا الصغيرة إذن .. تصور أن هناك عقلاً بشريًا لا يكف لحظة عن التنقل بين عقول الآخرين .. لا أفكار خاصة بك .. ستسمع ضوضاء الآخرين طيلة اليوم لا تعرف إن كانت منك أم من الآخرين ، ستسمع كل أفكار الناس التي لا تريد أن تعرفها ، ستشعر بمقت غير عادي لهذا العالم .. شأنك شأن من يرى كل الناس عرايا طيلة الوقت .. إن هذا يثير الاشمئزاز .. لهذا يعاني الـ Espers من حالات قيء متكرر .. واكتئاب مزمن .. »

ثم داعب بعض الزهور الموضوعة على مكتبه .. وأردف :

- « إنك ستفقد ذاتك بالتدريج لتذوب في الزحام .. »

فى مرارة غمغم (إيجور) :

- « إنك لا تكف عن إثارة بهجتى وآمالى ..! »

- « هذا عملى .. سنحاول أن ندربك على نوع من (التغذية الرجعية) الحيوية(*) .. وبالتالى تتعلم كيف تكبح جماح موهبتك هذه ، كما أننا سنعمل جاهدين على تسهيل لقائك بزملاء يماثلونك فى هذه الموهبة .. إنهم سيقدمون لك خبراتهم ويعلمونك كيف اجتازوا أسوأ لحظاتهم فى هذا الصدد .. أما الآن فلا شىء أقدمه لك أفضل من مستحضرات (البنزوديازبين) المهدئة .. إن النوم أو سكينة الدماغ هى ما تحتاجه الآن .. »

سأله (إيجور) فى قلق :

- « هل ما ينتظرنى مخيف يا دكتور ؟ »

تحاشى (مالكولم) نظرته .. وغمغم :

- « لقد رأيت حالتين تمران بما تمر به ... والنهاية كانت هى الجنون أو الانتحار هربًا من طوفان الأفكار هذا .. فهل تعتبر هذا شيئًا مخيفًا بما يكفى ؟! »

.... !

* * *

(*) Biofeed – back

- ١١ -

الحق أن هذه الموهبة لم تكن وبالاً كلها ...

إن (إيجور) ليغبط نفسه أحيانًا على امتلاكه لها .. من المفيد أن تقرأ خواطر الناس حين تكون موظفًا فى مصرف ..

خذ عندك هذا الرجل الوقور الذى يتقدم نحوك ، وهو يصلح رباط عنقه الفاخر ، ويضع حقيبته على (الكاونتر) أمامك فى سأم كأنما تضايقه إجراءات المصارف الروتينية هذه .. وينظر إلى ساعته غير ناس أن يمط شفته فى اشمئزاز .. تبًا .. لقد تأخرت كثيرًا جدًا عن موعدى المهم ... وتمرّ حسناء فيبتسم لها ابتسامة جانبية سريعة .. ثم يقف ليقول لك فى هدوء وثقة :

- « أريد تبديل فئة أصغر بهذه الدولارات .. »

ويضع رزمتين .. ثلاثًا .. عشرًا من الدولارات عالية الفئة على (الكاونتر) أمامك .. ويتلفت حوله فى حذر ليريك أنه يهاب اللصوص .. وينتظر ....

عندئذ تسمعه يتحدث فى ردهة عقلك :

« أرجو ألا يشك فى شىء هذا الأحمق .. إن التزوير متقن .. وأنا أثق بهذا .. المهم أن أبدو واثقًا من نفسى وألا أنصرف سريعًا بمجرد أن يتم الاستبدال .. سأتمهل .. أنظر إلى ساعتى .. أسأله عن عنوان شارع قريب .. أوشك على الانصراف ثم أعود إليه طالبًا استبدال ورقة نصف تالفة .. هذا هو الأسلوب الأمثل .. »

عندئذ تقاوم الابتسامة الخبيثة التى توشك أن تتحول إلى قهقهة ، وتبدأ العبث بأعصاب الرجل ..

تمسك الأوراق وتتأملها فى النور مليًا وأنت تعرف أنه يكاد يجنّ .. الهواء يحتبس فى رئتيه ..

« ماذا يفعل هذا المعتوه ؟ إن الدولار ليست له علامة مائية ! لا يمكن أن يعرف الحقيقة أبدًا .. »

عندئذ تطلب منه أن يأذن لك بلحظة .. وتنهض تاركًا إياه يغلى كما لو كان جالسًا على مرجل مشتعل ..

وتتأخر بالداخل بضع دقائق .. ثم تعود له كى تواصل عدّ الدولارات وتتأمل كلاً منها فى النور ..

ثم ....

ينتهى أوان المزاح .. تقرع الجرس الصغير أمامك ، ويرى هذا النصاب الزى الأزرق لرجل الأمن يتقدم نحوكما .. عندئذ يفقد وقاره ويتلاشى كل هذا الكبرياء ...

« الشيطان !.. كيف عرفها ؟.. لقد كان التزوير متقنًا ومن الدرجة الأولى .. »

ويسألك رجل الأمن عما هنالك ، فتقول فى أدب وقور وأنت تشير إلى عميلك المتأنق :

ـ « لقد قدم لى هذا السيد دولارات مزيفة .. وأعتقد أننا جميعًا نحب أن نعرف مصدرها .. »

عندئذ يرتخى جسد المتأنق تمامًا ، ويتحول إلى فأر فى مصيدة غارق فى العرق البارد ، ويتحول كبرياؤه إلى بالون فرغ من الهواء تمامًا .. ويقتاده الضابط إلى حيث يقودون الفئران التى لا تجد مهربًا ..

نعم .. ليس الاختراق وبالاً على رأسك كله ...

عندئذ يدعوك مدير البنك إلى مكتبه ، ويهنئك على فراستك فهذه الدولارات مزيفة بإتقان غير عادى .. ويستحيل تمييزها إلا بوسائل تقنية معقدة .. ثم يسألك عن كيفية اكتشافها ، فتقول فى تواضع :

ـ « لا شىء يا سيدى .. فقط بدا الرجل متعجرفًا أكثر مما يحتمله الأمر ..

حتى إننى .. حتى إننى كدت أقرأ أفكاره ! »

★ ★ ★

. وتمضى الوقت الممل فى تأمل أنماط البشر الذين يدخلون ويخرجون من البنك ، وتصغى لأفكارهم فى خبث موقنًا فى نفسك أن من يزعمون القدرة على الفراسة هم مغروورون حتمًا ...

زحام من الأفكار وضجيج لا يصدق ، يحيط بك فى كل ثانية ، وبرغم هذا أكثر الناس صامتون ..

هذه الحسناء تخطر فى رشاقة قاصدة شباك الشيكات ، تقول لنفسها فى فحيح كفحيح الأفاعى :

« اللعنة على هذا العجوز !.. كلما فكرت أننى بعت شبابى من أجل المال .. من أجل هذه الشيكات المتعفنة التى أنتزعها منه كأننى أنتزع آخر ضرس في فمه .. هذه هى مشكلة الزواج ممن يكبرك سنا .. »

ترى هذا وتقارنه برقة ابتسامتها المصنوعة التى تنمّ عن حب برىء للكون كله ، فتاة لها هذه الابتسامة

إنما خلقت كى تلهو كالأرانب والغزلان .. كما فى أفلام (ديزنى) المتحركة ..

لكن أفكارها تختلف بعض الشىء ....

وها هو ذا رجل الأمن يرمقها فى رزانة ويبتسم .. تسقط منها لفافة فيهرع ليعيدها لها .. تشكره .. فيهز رأسه برشاقة بمعنى : لا تشكرينى فهكذا يتصرف (الجنتلمان) دائمًا ...

لكن أفكار هذا (الجنتلمان) تختلف كثيرًا .. أفكار غير قابلة للنشر تتعلق بهذه الحسناء ... الخلاصة أنه سيتحول معها إلى (مينوتور) كاسر يخور ويتصاعد البخار من منخريه ...

أما هذا الرجل رثّ الثياب بادى الفقر فيمشى إلى الصراف ؛ ليخرج من جيبه رزمة متسخة من أوراق العملة .. ويعطس عدة مرات ، ويقف فى ذلّ منتظرًا أن ينظر الرجل إليه لكن أفكاره ترسم صورة مختلفة :

« عشرون ألفا ..! إننا نتحرك بثقة نحو المليون الأول .. ولعمرى إنه لشىء يستحق أن يضحى المرء بكل هذه اللذات الصغيرة التى يحبها الناس البلهاء .. »

ويبتسم (إيجور) فى ثقة .. الحق أنه لإنسان غير عادى .. إنسان متميز ومخيف ... لكن لو علم الناس بموهبته هذه لانكمشوا ولراحوا يتطيرون منه ويخشونه ...

★ ★ ★

وهنا رأى (إيجور) ذلك الشاب الناحل الأسمر يتقدم من (لارا) الموظفة الحسناء .. يقف أمامها .. يتحدث معها فى أدب ثم يبرز وريقة صغيرة يضعها أمام عينيها .. وجه (لارا) يمتقع وتبتلع ريقها .. تنظر حولها ثم تعيد قراءة الورقة .. الشاب يبدو أكثر عصبية وتوترًا .. ويناولها حقيبة سوداء كبيرة ..

ماذا يحدث بالضبط ؟..

مع (إيجور) بالذات لا توجد مشكلة فى مطالعة الرسائل لأنه يراها منقوشة كاملة فى وعيه ، كما يسمع كلماتها بصوت القارئ كما يحدث فى السينما ، ماذا تقول هذه الرسالة ؟

« توجد تحت معطفى أربعة أصابع من الديناميت الموصل بشحنة كهربية .. وطرفا السلك بين أناملى الآن ، عليك أن تملئى هذه الحقيبة

بالدولارات عالية الفئة ذات الأوراق القديمة وإلا قمت بتلميس السلكين .. وعندئذ سيتلاشى المصرف من على الخريطة ..! لا تحاولى الصراخ أو المقاومة .. فأنا يائس ولن أخسر شيئًا لو تحولت إلى كومة من الغبار !.. »

كان الأسلوب متماسكًا والخط جميلاً دقيقًا .. هذا الخط المميز لمرضى الاكتئاب أو المنغلقين على أنفسهم ، ولم يمنع (إيجور) نفسه من الإعجاب بدقة هذا اللص ... إن اللص الذى لا ينسى وضع علامات الترقيم وعلامات التعجب وهو يسرق مصرفًا لهو لص غير عادى ..

المهم الآن أن يتم عمل شىء ..

(لارا) تهز رأسها الأشقر فى إرهاق .. واضح إنها على وشك فقدان الوعى بعد ثانية أو أكثر ما لم تأخذ ... ها اه !.. نفسين عميقين .. ثم تتنفس بسرعة .. العرق البارد على جبينها .. تبدو كأنها قد ازدردت فأرًا ...

إنها تدخل المكتب تاركة الفتى واضعًا يديه فى جيب معطفه ، وهو يتلفت حوله فى قلق ...

ثم تعود بعد دقائق مع المدير .. المستر (كوثبرت) البدين ذى الملامح الطفولية يهزّ كرشه الضخم ويبدو ممتقعًا ..

يعيد (كوثبرت) قراءة الرسالة .. ثم ينظر نحو الفتى وعيناه تقولان : لا .. لكن الفتى يهزّ رأسه أن : نعم .. ويفتح زرّين من معطفه ..

يتبادل المدير الهمس مع (لارا) ثم يشير للحقيبة ..

هنا يصيخ (إيجور) السمع إلى أفكار الفتى :

« ليتهما يصدقان !.. ليتهما !.. رباه !.. دعنى لا أفشل هذه المرة أيضًا ! »

كانت الكاميرا التلفزيونية المعلقة مسلطة نحو الفتى .. ورآه (إيجور) ينظر لها فى قلق .. إن كل شرطة الولايات المتحدة ستحصل على صورته بعد ربع ساعة من الآن .. وهذا يحمل معنى واضحًا : إن الفتى يخطط للهرب مهما كانت النتائج .. وحتى لو لم يقتنع المدير بنيته للانتحار .. بالتالى من المنطقى أن يكون مسلحًا .. فما هو سلاحه ؟

أحسّ (إيجور) فى ذهنه بملمس المسدس .. البارد الصارم الثقيل يرقد فى جيب المعطف صامتًا

ينتظر .. لكنه أدرك كذلك أن المسدس خال من الطلقات .. لم يكن الفتى راغبًا فى التهور مهما كانت الأمور .. لأن عقوبة السارق أخف بمراحل من عقوبة القاتل ..

وهكذا تقدم (إيجور) فى ثقة يشق زحام العملاء .. حتى وقف عند الشباك بجوار الفتى .. توتر هذا الأخير لحظة .. لكنه افترض أن (إيجور) عميل آخر لا يدرى ما يدور ها هنا ..

مدّ (إيجور) يده فوضعها على كتف الفتى .. وهمس :

ـ « لا أدرى لماذا لا أميل كثيرًا إلى رؤيتك هاهنا .. لربما غدت الأمور أفضل لو أنك غادرت البنك الآن ! »

ـ « عم تتحدث يا سيد ؟ »

وصاحت الفتاة فى هستيريا ومعها مدير المصرف :

ـ « ابتعد يا (إيجور) !.. إنه ملغّم تمامًا ! »

بنفس الهستيريا تقريبًا تراجع الفتى للوراء :

ـ « ابتعد عنى !.. وإلا دفعتم الثمن غاليًا ! »

لكن (إيجور) يمدّ يده ليفتح معطف الفتى عنوة .. ويقول أمام نظرات الواقفين الذاهلة :

ـ « ملغم بـ (الكرواسان) ؟.. هذا حق ! »



لكن (إيجور) يمدّ يده ليفتح معطف الفتى عنوة ..

لقد ملأ الفتى سترته تحت المعطف بأصابع (الكرواسان) المتلاصقة ، التى تبدو من تحت المعطف كأنها شحنة ديناميت رهيبة ... وفى ثانية تحوّل هذا السفاح اليائس إلى مخبول يحب (الكرواسان) يقف غارقًا فى العرق .. عرق الفشل .. عرق الخجل .. عرق الخوف ..

لم يصدق بينما رجال الأمن يتقدمون نحوه لينزعوا معطفه ، ويفكوا هذا الحزام المضحك من حول خصره ، وأحدهم يخرج المسدس الخالى من الذخيرة من جيبه .

لم يصدق بينما (لارا) تولول وتبكى .. ثم تنكمش على نفسها مطلقة صرخات هستيرية واهنة على سبيل التغيير ..

عندئذ عرف أنه لعب بورقته الأخيرة .. وفشل ...

تقدم منه (إيجور) فى تعاطف واضح ، وأخرج من جيبه علبة تبغ .. دسّ واحدة منها فى فمه وأشعلها بينما ذلك الصوت المعدنى الكئيب للأصفاد إذ تنغلق حول معصمه يتردد :

كليك .. كليك ...!

سأله (إيجور) وهو يشعل لفافة أخرى لنفسه :

- « لماذا تهورت يا (كـارلو) ؟.. إن (سيلفانا) كانت ستعود لك حتمًا .. إنها تحب بيتها وأطفالها ولم يكن ما حدث سوى زلة عابرة » .

قال الفتى وهو يلوك اللفافة لأن يديه صارتا مقيدتين :

- « أردت أن يعرف الجميع من هو (كـارلو برتينى) .. لست أنا ذلك الجبان عديم الذكر الذى تقتحمه العين اقتحامًا .. أنت تعرف شعور المهاجر الإيطالى فى بلدة كهذه .. إما أن يكون ممثلاً أو لصًا ..

وعلى كل حال ستعرف (سيلفانا) أنها قد قارفت خـ ..... »

وهنا تصلب وأدار عينه نحو (إيجور) ، فوجده قد رحل .. وبينما هو يمشى نحو عربة الشرطة لم يملك نفسه أن يتساءل فى حيرة .. (لقد كان شارد الذهن فلم يثر ما حدث ذهوله) .. من هو هذا الرجل ؟.. كيف عرف مشكلته وعرف اسمه واسم (سيلفانا) زوجته التى رحلت ؟!

إلا أنه - فى الساعات التالية - لن يجد مزيدًا من الوقت للبحث عن إجابة .....

* * *

- ١٢ -

لماذا كان يميل إلى (لارا) ؟..

كانت جميلة - هذا حق - لكنه ذلك الجمال البارد المميز لدمى واجهات المحلات ، وبالتأكيد لم يكن جمالها من النوع الذى يروق له ...

كانت رقيقة .. لكنه ذاق من الرقة ذلك المذاق الكريه حين تتحول إلى قسوة أو لا مبالاة .. وخبرته مع (جلاديس) كافية ..

من الصعب معرفة السبب ...

لكنه كان يرجح أن التفسير يعود إلى حبها له .. وإلى شعوره بالوحدة وحاجته إلى رفيقة درب .. أية رفيقة .....

أضف لهذا - بالطبع - أنها كانت محدودة الذكاء ، وأنها كانت تملك (أنظف) مخ اخترقه فى حياته .. فهى تحبه هكذا .. دون تعقيدات أو ادعاءات .. وهى لا تظهر عكس ما تبطن .. ولا تملك طموحات شريرة شيطانية ... ولم تبد اهتمامًا بأنفه الكبير قط ..

كانت مبهورة بشجاعته .. لكنه كان يعلم جيدًا أنه

ليس شجاعًا .. إن مهاجمة رجل مسلح بأصابع (الكرواسان) ليست شجاعة طالما أنت تعرف ذلك ..

كانت مبهورة بفراسته وحدّة ذكائه .. لكنه كان يعلم أن فراسته هى قدرته على اختراق عقول الآخرين ..

لم يكن يستحق انبهارها .. لكنها ـ بالتأكيد ـ لاتستحق حبه تمامًا .. إنه يميل إليها كما يميل إلى كلبه .. لمجرد أنها (لطيفة المعشر) .

وفيما عدا اللقاء فى المصرف ؛ كانا يخرجان بانتظام كل ليلة تقريبًا ، حيث يصحبها من دارها ـ حيث ما زالت تعيش مع أبويها ـ فى سيارته الصغيرة ليذهبا إلى أى مكان ...

* * *

يجب هنا أن أذكر أن (إيجور) لم يعد يقيم مع أبويه .. فقد اقتنى شقة صغيرة نظيفة على بعد أمتار من المصرف الذى يعمل فيه ..

والشقة لا تحوى من ذكريات الماضى سوى صورتين .. صورة لأبويه البولنديين .. وصورة للجنرال (جابلر) .. الذى غدا رفيق حياته .. يراه

أول شىء عند الاستيقاظ وآخر شىء قبل النوم .. بل إنه أحيانًا ما كان يثرثر معه بالألمانية التى لا يفهم الجنرال سواها ، والتى تعلمها (إيجور) خصيصًا من أجله ...

واعتاد أن يحييه كلما رآه فاردًا ذراعه الأيمن عن آخره ، هاتفًا بلهجة عسكرية صارمة : (هايل هتلر) !..

عندئذ كان يرى بسمة خبيثة تتلاعب على ثغر الجنرال ....

أين أنت يا (جابلر) ؟.. تراك مازلت حيًا بعد هذه الأعوام ؟

أنت قتلتنى يومًا ما .. ولسوف أهيم كشبح ـ مثل الزوجين (كيلى) ـ إلى يوم الدينونة حتى تلقى عقابك أو تموت ..

نعم يا (جابلر) .. أنا شبحك الذى سيطاردك فى كل ركن .. وراء كل منحنى .. وخلف كل شجيرة .. وتحت كل فراش ..، حتى فى لحظة الاحتضار لن تأمن أن تجد أناملى تلتف حول عنقك لتجعل احتضارك ـ قدر الإمكان ـ أليمًا معذبًا ....

أين أنت يا (جابلر) ؟!

تدوى الصرخة النفسية المروعة عبر الغابات .. تحرك مياه الجداول وتسقط قطع الثلج من قمم الجبال .. وتفرّ من هولها قطعان الوعول .. تعبر المحيطات باحثة عن الوحيد الذى يملك الإجابة ..

أين أنت يا (جابلر) ؟!

* * *

- ١٣ -

كان معمل د. (مالكولم) يشبه سيركًا إلكترونيًا مسليًا إلى حد لا يوصف .. والرجل هو نفسه مزيج مثير من الدجالين والعلماء .. فلا يلومن أحد رئيس الجامعة على شكّه فى مصداقية هذا الرجل ..

الآن تعال أقدم لك فئران التجارب الآدمية فى هذا السيرك الإلكترونى .. هيا .. تقدم وصافحهم ....

الأول هو (مايكل هاثاواى) .. مدرس فى الأربعين من عمره .. يعانى من حالة متقدمة من الإدراك الفائق للحواس .. وعلى حدّ قوله (الضجيج لا يرحمنى لحظة واحدة) ، وحتى حين يحاول أن يغفو توقظه دومًا أحلام زوجته الحمقاء ، فهى لا تحلم سوى بكلب أسود يحاول عضها من مؤخرتها !

ويقول (هاثاواى) فى مرارة : أصحو من النوم عشر مرات ليلاً شاعرًا بأنياب الكلب تمزق مؤخرتى أنا ، وقد نصحه البعض بأن يطلّق زوجته ، ونصحه آخرون بأن يهشم رأسها لكنه لا يبدو متحمسًا للحلّين .

الثانى هو (إيجور تاركوفسكى) .. مهاجر بولندى

اكتسب موهبة (الإدراك الفائق للحواس) فى ظروف مبهمة ، وهو إنسان صموت حساس إلى أقصى حدّ ، الواقع أننا ـ قرّاء (ما وراء الطبيعة) ـ محظوظون للغاية إذ نعرف جيدًا ما يفكر ويحلم به (أبو الهول) هذا ....

الثالث هو (جيمس ماكجافن) .. كان ضابطًا بالجيش .. وهو من هؤلاء المتمتعين بقدرة (السايكو كاينزس) .. وهى لفظة لاتينية تعنى (التحريك عن بعد) ..

كان (إيجور) قد سمع عن هذه القدرة لكنه لم يرها .. ولم يتخيلها قط .. حتى رأى هذا الـ (ماكجافن) ينحنى على المائدة ويقطب وجهه .. ويرتجف فى مزيج من الألم والانبهار والنشوة .. وراحت ملامحه تتقلص .. واحتقن وجهه بالدم .. عندئذ رأى (إيجور) ـ مذهولاً ـ كوبًا من الماء يتحرك حركة عصبية قصيرة فوق المائدة .. كأنما هو مربوط بخيط إلى (ماكجافن) نفسه .. ثوان مضت مثقلة بالتوتر والجهد الذهنى الذى يدنو كثيرًا من انفجار المخ .. ثم هوى الكوب من فوق المائدة ليتهشم إلى ألف قطعة ..

وهمد (ماكجافن) وراح يلهث فى نشوة الخلاص .. بدا الأمر بالنسبة لـ (إيجور) غريبًا لكنه مخيب للآمال .. كل هذا الجهد من أجل كوب .. وهو الذى حسب (السايكوكاينزس) قادرًا على رفع مدرعة عن الأرض ونقلها إلى أرض أخرى .. لكن (مالكولم) أخبره أن هذا ما يظنه العامة .. إن القدرة على تحريك بضعة كيلوجرامات عن بعد لأمر نادر جدًا ولا توجد سوى قلة من هؤلاء المحركين معظمهم محبوسون فى معامل (لينينجراد) الآن باعتبارهم سرًا حربيًا سوفيتيًا ....

الآن ننتقل إلى الشخص الرابع ..

إنه زنجى يدعى (جيف جولد سميث) .. وهو بلا عمل .. نشأ فى الأزقة وسينتهى إلى الأزقة لأن الزنوج فى (مانهاتن) لا مستقبل لهم .. فهم إما عمال مصاعد أو راقصون أو لصوص .. ربما تحول سعداء الحظ منهم إلى (زومبى) لكن هذا لا يحدث عادة ..

(جيف) يملك موهبة (التخاطر) أو (التليباثى) ، ويستطيع أن ينقل أفكاره إلى الآخرين بسلاسة غير عادية ..

للأسف أن أفكاره ليست رائعة إلى هذا الحد .. ومعظمها شتائم بذيئة تنتهي دومًا ـ كعادة الزنوج ـ بلفظة (يا رجل) ..

الخامس هو (بيتر شندلر) .. الاسم يوحى بأصل ألمانى ففى الولايات المتحدة لا يوجد أمريكى أصيل سوى الهنود الحمر .. أما الباقون فنازحون من كل بقاع الأرض ..

والأخ (شندلر) هذا يتمتع بموهبة خاصة فى (الإدراك الفائق الحس) .. فهو ....

ـ « سلبى .. إنه Esper سلبى .. »

لم يفهم (إيجور) معنى السلبية هنا .. فقال (مالكولم) وهو يتأمل (شندلر) فى إعجاب :

ـ « معنى هذا أنه غير قادر على اختراق عقول الآخرين .. لكنه فى الوقت ذاته صاحب عقل مغلق .. لا أحد يستطيع اختراقه أو معرفة أفكاره .. »

ثم هتف فى (إيجور) متحديًا :

ـ « حاول أن تعرف فيم يفكر .. »

نظر (إيجور) إلى وجه الألمانى المبتسم عديم التعبير وحاول :

« .... »

إظلام .... حاول ثانية فى إصرار :

« .... »

إظلام ...

قال (مالكولم) فى حنكة تدل على خبرة مخضرمة :

ـ « إن الـ Espers السلبيين صالحون دائمًا للاحتفاظ بالأسرار الكبرى ، خاصة حين يكون عليهم التعامل مع آخرين إيجابيين مثلكم .. إن هذا الرجل أشبه برسالة كتبت بالحبر السرى ، ولا أحد يملك السائل المظهّر فى العالم كله .. »

وفى ذهنه سمع (إيجور) من يتكلم فى تهكم :

« اللعنة يا رجل !.. أية موهبة سلبية ؟.. إن هذا الفرخ القذر لا يصلح إلا كدمية متعفنة ! »

أدرك (إيجور) ـ وكذلك المدرس ـ شخصية القائل فورًا .. فنظر له وهمس مبتسمًا :

ـ « احتفظ بآرائك لنفسك يا (جيف) .. »

ـ « ليكن يا رجل .. لكن لتحلّ علىّ اللعنة .. »

* * *

ساد الظلام المعمل .. فيما عدا صوتًا غريبًا كأنه عواء أو نداء غامض يتخذ طابعًا لحنيًا ، ينبعث من

جهاز التسجيل الذى يدور ببطء ...

قال د. (مالكولم) بصوت رخيم حاول أن يوحى بالاسترخاء :

ـ « هذه الموسيقا من اليابان .. كهنة (زن) يتسعملونها للتركيز .. ويقال : إنها فعالة فى ذلك »

وأضاء مصباحًا أزرق غمر المعمل بضوء شاعرى غريب ، كأنه ضوء القمر ذات ليلة صافية .... لكن الرؤية ظلت عسيرة بعض الشىء برغم هذا ...

أردف (مالكولم) وهو يسير بين تلاميذه أو حيوانات تجاربه ـ أيهما أدق ـ وقد عقد كفيه خلف ظهره :

ـ « إن العقل البشرى هو أشبه بالقصر ذى المائة غرفة كلها مواربة .. لكن هناك حجرة واحدة ممنوع علينا دخولها .. هل تعرفون لماذا ؟.. لأنها تضمّ أقسى وأفحش ذكرياتنا .. الذكريات التى نداريها حتى عن أنفسنا لنظل آدميين .. »

ثم توقف هنيهة ليداعب شعره الأحمر :

ـ « العلاج النفسى يحاول مجرد قرع هذا الباب والعبث بمفاتيحه ، لكنه لا يفتحه .. التخدير ينجح

أحيانًا فى إلقاء نظرة من ثقب هذا الباب لكنه لا يفتحه .. نحن ـ الجالسين ها هنا ـ القادرون على فتح هذا الباب ، ودخول الغرفة المغلقة لرؤية ما بها .. لكننا بحاجة إلى مران .. بحاجة إلى إدراك مفهوم الغرف جيدًا .. »

هنا تذكر (إيجور) ما اعتاد أن يراه فى لحظات الاختراق .. كان يسمع الصوت كأنما يتردد فى رواق كبير مزدانًا بالصدى ، وكان يرى هذا الرواق يمتد أمامه والأبواب على جانبيه ..

إن (مالكولم) يعرف حقًا ما الذى يتحدث عنه ...

قال (مالكولم) وهو يواصل جولته المتئدة :

ـ « حتى هذه اللحظة نحن قادرون على معرفة الأفكار الحاضرة للناس .. لكننا نجهل تمامًا ما كانوا يفكرون فيه .. نجهل ذكرياتهم وخططهم المستقبلية .. لهذا نحاول أن نتدرب على فتح الأبواب وتفتيش الغرف .. »

تساءل (هاتاواى) ومعه حق فى تساؤله :

ـ « ولماذا نتعلم هذا ؟.. نحن نريد الشفاء من موهبتنا أو تنظيمها .. لكننا غير راغبين فى التجسس على الطبيعيين .. »



وكان يرى هذا الرواق يمتد أمامه والأبواب على جانبيه ..

ـ « نقطة جيدة .. »

قالها (مالكولم) واتجه ليقف جوار (هاثاواى) .. وأردف :

ـ « نحن لن نمارس خارج هذا المعمل ما تعلمناه داخله .. سنحاول أن نخترق عقول بعضنا البعض .. سنتعلم أكثر عن الغرفة التى تحوى هذه الموهبة .. سنصارعها .. سنرغمها على الخضوع لنا بدلاً من أن نخضع لها ..، إن الحل لمشكلة كل منكم هو فى عقله .. وهناك من سيفتح أبواب هذا العقل .. إننا نسمى هذا الأسلوب بـ (العلاج التبادلى) .. هل هناك أسئلة ؟ »

ساد الصمت .. فقط تبادلوا النظرات .. وسمعوا فى عقولهم سبّة بذيئة من الزنجى (جيف) يتهم كل هذا بالسخف .. لكن أحدًا لم يعلق .. وأشار (مالكولم) إلى (هاثاواى) و (إيجور) كى يجلسا متقاربين .. ثم قال :

ـ « ابدأ الآن اختراق عقل كل منكما .. تشبثا بنظرية أبواب القصر .. واستخدما كل ما عندكما من

ذكاء للتجول فيه ، وفتح المزاليج الموصدة .. استمتعا بوقتكما إذن ! »

* * *

بدأ (إيجور) اختراق ذهن المدرس ...

فى البدء كانت هناك مجموعة من الأفكار السطحية .. والركام إذا صحّ التعبير .. راح (إيجور) ينقل قدميه بين الأفكار المتشابكة فى حذر ..

« هذا هو الاختبار .. » « إنه لن يستطيع أن .. » « أسرارى الخاصة ... » « هذه الموسيقا غريبة حقًا... » ..

حتى استطاع أن يصعد فى الدرج قاصدًا الطابق الثانى .. صوت خطواته يدوى كطلقات الرصاص وسط السكون المخيم على المكان ...

أخيرًا رأى (إيجور) الرواق يمتد أمامه .. مظلمًا ضيقًا خافت الإضاءة .. الأبواب على جانبيه ...

كأنها رؤيا من رؤى مهاجر تشيكى آخر جاء إلى أمريكا هو الأديب (كافكا) الذى تخصص فى رسم هذه المشاهد الكابوسية المريعة ، وكان (إيجور) يحب كتابات (كافكا) .. لكنه لم يرغب قط فى أن يعيشها ..

كانت الأبواب مواربة .. وفى حذر خطا (إيجور) إلى الداخل ليفتش أول حجرة ...

كانت غرفة أطفال ... بها مهد .. ودمى .. وألعاب بسيطة تتحرك بالزنبرك ... وكانت هناك امرأة تغنى بمهد يرقد فيه طفل صغير يجأر بالبكاء كالمسعور ..

ـ « هلم يا (ميكى) » ـ تقول المرأة ملاطفة ـ « أنا لا أحب الأطفال منحرفى المزاج .. »

كان (مايكل هاثاواى) طفلاً .. المرأة قصيرة الشعر حولاء العينين قليلاً .. ليس ذلك الحول المشوه المنفر .. بل هو حول بسيط ساحر يوحى بأنها (تحملق) باهتمام فيما أمامها ... هو ذا (مايكل) يحبو .. (مايكل) آخر يتشاجر مع أصدقائه فى الحضانة .. الحبّ الأول .. وجه طفلة شقراء ذات شعر مجعّد ساحر .. مشاجرات مع رفاقه فى الصف على حبّ (هيلين) .. دموع .. كدمات .. ثياب ممزقة ..

غادر (إيجور) الغرفة الأولى .. ومشى فى الرواق بضع خطوات ثم فتح باب الغرفة الرابعة ...

رائحة التبغ .. أنت تدخن يا (مايكل) .. أنا أعرف هذا ولسوف أعاقبك شر عقاب ، وجه (بيكى تاتشر)

الرقيق الجميل .. مشاعر المراهقة الجامحة .. فيض من العواطف يغرق كل شىء .. صور لفتيات جميلات (يبدو أنه كان يحتفظ بهذه المجموعة فى درج مكتبه) .. ثم .. درجاتك تتدنى فى المدرسة يا (مايكل) .. أنت تنهار .. تذوب ....

الغرفة التالية على اليسار .. الزوجة .. تقف فى صرامة تنظر إلى (إيجور) .. (غريب أنها كانت حولاء قليلاً مثل الأم) .. شعرها معقوص مرفوع ملفوف فى شبكة .. إنها السلطة الثانية فى حياة (مايكل) بعد الأم .. وربما هى السلطة الوحيدة الآن ..

« (مايكل) !.. أنت لم تعد أنت ! »

الغرفة السادسة على اليمين :

هنا مجموعة من الطلبة الوقحين فى قاعة درس .. أحدهم يجلس واضعاً قدميه على المنضدة .. انزل قدميك يا (جيم) .. لن أفعل يا رجل .. دعنى أر ما بوسعك عمله ...

النظرة الوقحة وهو يلوك العلكة .. يجب عمل شىء .. يجب .. لابد من عقابه حالاً .....

دخل (إيجور) ـ مبهور الأنفاس ـ الغرفة السادسة على اليسار :

المياه فى كل مكان .. إننى أغرق .. افعلوا شيئاً !. أرسلوا إشارة (ماى داى) للاستغاثة ..

هنا يبرز القبطان وسط المياه الثائرة .. الغليون لم يفارق فمه .. يقول لـ (مايكل) وهو يقذف إليه بطوق نجاة :

ـ « لا إشارات لاسلكية يا (مايكل) .. إن اليابانيين قريبون .. علينا أن نظل صامتين حتى يجدنا رجالنا .. »

أسماك القرش .. رباه !.. لا أريد أن أموت ....!

وأخرجت سمكة قرش عملاقة رأسها من الباب لتلتهم (إيجور) ؛ لكنه أغلق الباب فى اللحظة الأخيرة ....

وبأنفاس لاهثة فتح الباب السابع على اليسار .. فرأى غرفة جراحة بها فريق من الجراحين .. يلتفت أحدهم نحوه ليقول :

ـ « لا جدوى .. لابد أن يفقد ساقه ! »

إذن فـ (مايكل) ذو ساق صناعية ..؟.. هذا هو سبب العرج الذى لاحظه عليه منذ عرفه .. الدماء

تملأ الحجرة .. ثم يرى (إيجور) ساقًا مقطوعة تنزف الدماء تتراقص فى الهواء .. تتبعه فى كل مكان ..

الباب الثامن على اليسار موصد بالمفتاح .. لكن مفتاحه فيه .. يدير (إيجور) المفتاح بحذر .. ويوارب الباب فلا يرى سوى ظلام دامس .. وفجأة تتفتح أبواب الجحيم :

كل المخاوف الكامنة فى نفس (مايكل هاثاواى) تخرج إلى الوجود .. كلاب سوداء هائجة تنبح .. نمور .. تنانين .. أفاع .. ثم يبرز وسط كل هذا رجل صارم يرمقه فى اتهام (هل هو الأب ؟) ثم تظهر الزوجة ملوحة بمغرفة هائلة الحجم .. يتبعها وحش مبهم هو كتلة من الشعر المخلوط بالدماء .. الهياكل العظمية المعلقة على جدران الغرفة تتحرك .. يتقدم الموت من الباب حاملاً منجله الذى يحصد به الرءوس .. ويمد يده العظمية نحو (إيجور) :

ـ « نعم يا (مايكل) .. أنا هو الموت .. أسوأ مخاوفك ! »

يغلق (إيجور) الباب مرتجفًا .. ويهرع نحو باب

آخر .. باب موصد لكن المفتاح فى ثقبه مرة أخرى .. يواربه .. وينظر ..

بالداخل تقف أجمل فتاة رآها فى حياته .. تمسك كتابًا .. تخلع عويناتها التى زادتها أناقة .. وتقول :

ـ « إن هذه العلاقة لن تستمر يا (مايكل) .. إن لك زوجة وأطفالاً .. ومهما قلت فلن أرضى بأن أسلبهم إياك ... »

ـ « لكنى أحبك يا (مارلين) .. »

ـ « أغلق الباب يا (مايكل) .. من فضلك .. »

ـ « لكن ... »

بلهجة أكثر صرامة كررتها :

ـ « من فضلك ! »

أغلق الباب وواصل رحلته فى ردهات عقل (مايكل هاثاواى) .. كل شىء هنا بالرائحة والملمس .. إن (مايكل) لم ينس شيئًا فى حياته حتى معادلات الجبر وتعداد سكان (ماليزيا) .. هو فقط لا يذكر أنه يذكر ..

أخيرًا وجد (إيجور) الباب الذى بحث عنه طويلاً .. الباب الخشبى العملاق الذى لا مفتاح له ، وقد أحاطت به المزاليج ...

هذا هو الباب الذى يقود إلى سرّ الأسرار .. إلى الكيان الذى يحاول (مايكل) نفسه أن ينساه .. الباب إلى عقله الباطن .. إلى أعمق أعماق ذاته ....

حاول (إيجور) أن يفتح المزاليج لكنها كانت محكمة الإغلاق صدئة بحكم أنها لم تمسّ منذ عقود طوال ....

وقف أمام الباب يتأمله فى بلاهة عاجزًا عن اتخاذ القرار الصحيح .. ثم راح يركله بقدمه .. ويضربه بكتفه .. صوت الضربات يتردد فى طرقات العقل الصامتة ... وكان يرتجف غيظًا وحنقًا ..

لابد من سبيل لفتح هذا الباب اللعين ...

الديناميت !.. لِمَ لا ؟.. سيعود إلى غرف الحرب إياها بحثًا عن قنبلة أو إصبع ديناميت .. ثم يعود ليفجر هذا الباب ويدخل الغرفة المحرمة .. إن هذا يبدو مسليًا .. ديناميت من ذكريات (مايكل) يفتح ثغرة إلى عقله الباطن .. لابد أن (فرويد) كان سيتمتع كثيرًا بهذا الموقف غير المألوف ..

وكهذا ركض (إيجور) إلى الحجرة السادسة على اليسار .. واندفع وسط المياه يبحث عن قنبلة أو

ديناميت أو أى شىء يصلح .. كان هناك طوربيد يابانى قذفته طائرة على المدمرة الأمريكية .. لم ينفجر بعد لكنه ينتظر لمسة بسيطة ...

حمله على ذراعيه وراح يركض نحو بعاب الغرفة الموصدة .. غريب أنه خفيف الوزن إلى هذا الحدّ !.. إنه فكرة .. والأفكار لا ثقل لها .. وعلى الأرض أنزله بحذر وترك محركاته تهدر مدحرجة إياه نحو الباب الموصد .. و ....

بوووووووم ..!

بكل صعوبة وجد الوقت كى يرتمى أرضًا .. فى الوقت الذى اهتزّ فيه الممر بأكمله .. وتطايرت أشلاء الباب فى كل مكان ..

وحين هدأ الانفجار ..

حين خبت النيران ..

كان الدخان يغمر كل شىء .. لكن الغرفة كانت مفتوحة كقلب صديق .. تنتظر أن يدخل ليرى ......

وقد فعل .....

* * *

بعد ثانيتين خرج من الباب راكضًا ....

وارتمى على جدار الممر الذى كانت رائحة الحريق تفوح منه ، وراح يتقايأ المرة تلو المرة ...... حتى لتوشك أحشاؤه على الخروج من فيه ..

إن ما رآه داخل الغرفة كان مريعًا ....

كان لا يُصدَق ......

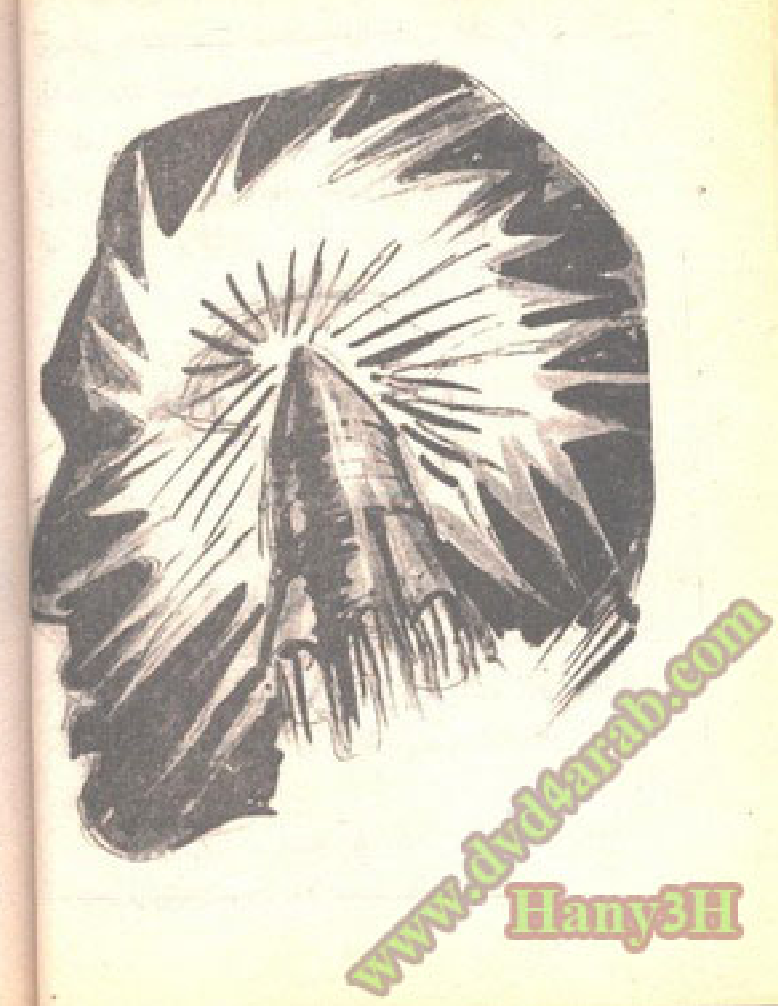
هل يوجد شئ بهذه القذارة فى الكون كله ؟.. هل هذا هو ما نداريه عن الآخرين وعن أنفسنا ؟.. حسن فعلنا ....

هذا هو العقل الباطن لمدرس وقور مهذب فى الأربعين من عمره .. فكيف يكون العقل الباطن لـ (بيل) أو (هارى) ؟

كيف يكون العقل الباطن لـ (سيدلتز جابلر) ؟!..

حزينًا كاسف البال بدأ (إيجور) يتراجع ليخرج من ردهات عقل (مايكل هاثاواى) .. لقد صار المكان مألوفًا .. ويمكنه أن يمشى فيه دون جهد فى المرات القادمة ...

لكن .. غريبة هذه الرائحة العطنة التى تملأ المكان .. عجبًا ! إن الجدران تتشقق ببطء .. صوت انهيار .. اللعنة !.. إن المكان ينهار كمبنى عتيق تقوضت أساساته ..



راح يجرى مذعوراً حتى هبط إلى الطابق الأسفل حين سمع أعلى صوت سمعه فى اللحظات الأخيرة .. لقد تهاوى البناء كله ..

★ ★ ★

كان الضوء الأزرق يغمر المعمل كما كان ..

إن (إيجور) لم يغمض جفنيه لحظة .. لكنه كان أعمى وعيناه مفتوحتان فلم ير ما طرأ من تبدل على وجه (مايكل) ...

أما الآن فهو يرى بوضوح أن (مايكل) ما زال يرمقه متسع العينين .. وخيط من لعاب يسيل من شفتيه إلى صدره ..

يرى بوضوح أن د. (مالكولم) يفحص الرجل فى شىء من توتر وقلق .. ثم يرمقه وفى عينيه نظرة اتهام .. ويسأله :

ـ « ماذا فعلت بالداخل ؟ »

ـ « كـ ... كنت أجول .. هـ .. هل .. حـ .. حدث شىء ؟ »

قال (مالكولم) وهو يواصل فحصه :

ـ « لقد فقد الرجل عقله .. للأبد ! »

★ ★ ★

الجزء الخامس

(مانهاتن ـ ١٩٦٢)

- ١٤ -

النوبة من جديد !..

سقط كوب الماء من يده ، وقد راح النذير يدوى فى عقله مرارًا .. النوبة قادمة !.. النوبة قادمة ..!

يفقد توازنه ليهوى فوق الزجاج المهشم .. دعه يمزق ويدمى كل جزء من لحمك فلا وقت لترف الـ .. الـ .. ماذا ؟.. لقد نسى .. الانقباضات فى كل موضع من الجسد ...

يداه - وقد اتخذتا وضع المخالب - تمتدان إلى صدره ، كى تمزقا طرفى المنامة عن جسده ....

ثم صوت أنفاسه .. يسمعه عاليًا كإعصار ، وصوت قطرات الماء التى تتدحرج من فوق المنضدة ، صوت قىء ذبابة تقف على قالب من السكر .. صوت ......

ضوء الغرفة يتغير .. يتحول إلى شمس ساطعة مبهرة يعجز عن فتح عينيه من وهجها .. مئات الإبر تمزق قرنيته ..

راتاتاتاتاه !.. بوم !.. « هذه الجهة مغلقة ! »

« اخرس .. إنك تثير أعصابى .. اخرس ! »

برج الدبابة يدور فى بطء مسلطًا مدفعها نحوه ..

ثم .. إن النوبة تولى الآن .. الجزر قد بدأ .. ووعيه يزداد بروزًا فوق سطح الماء ....

وأخيرًا نهض .. مترنحًا مشى إلى حوض الغسيل وراح يتأمل وجهه الشاحب فى مرآة الحمام .. راح يزيل شظايا الزجاج عن شعره .. ويجفف العرق .. ويسعل ..

وككل مرة يشعر أن قطارًا قد مرّ فوق جسده مرتين ...

* * *

الحقيقة هى أن النوبات تتزايد تدريجيًا ..

واليوم تحدث مرة كل يومين ... تذكر كلمات د. (مالكولم) يوم قال له فى مكتبه :

- « يوجد طاغية فى دماغك يحاول أن يحتل الدماغ كله .. »

الحق يا صديقى أنك تفقد شبابك بسرعة البرق ...

لقد نال - ككل البشر- شمعة هى حياته ، وقيل له أن يشعلها وينتظر حتى تذوب كلها ثم يلحق بالأبدية .. لكن شمعته - من سوء حظه - تحترق بمعدل غير معقول .. تحترق من الطرفين ...

عاد يتذكر ما قاله د. (مالكولم) .

ـ « إن موهبتك خطيرة حقًا .. لقد نجحت فى فتح الباب المغلق فى عقل (هاثاواى) .. فجرته تفجيرًا بينما كان هو يتحسس طريقه عند مدخل عقلك ، وحين خرجت محتويات الغرفة المغلقة إلى باقى عقله لم يتحملها .. جُنّ على الفور .. »

وابتسم (إيجور) فى مرارة ..

إن (هاثاواى) الآن نزيل فريد من نوعه فى إحدى المصحات العقلية .. يقول الأطباء لمن يزوره إنه مصاب بالجنون الذهولى .. لكنهم عاجزون عن القول إنه يعانى من انهيار فى بنيان عقله .. لقد فجّر اللغم اليابانى تركيب دماغه ولم يعد لديه ما يفقده ..

أما عن د. (مالكولم) فقد كانت هذه هى نهاية تجاربه المثيرة فى مجال (الباراسيكولوجى) .. لقد انتهت تجربة الاختراق قبل أن تبدأ .. ونجح رئيس الجامعة فى انتزاع المعمل منه ..

ـ « إذا كنت تظننى سأستمر فى هذه التجارب التى تفقد الناس عقولهم فأنت مخطئ .. »

صحيح أن د. (مالكولم) لم يترك الجامعة ، لكنه

راح يبحث فى مجالات أخرى جديدة : للخواص الفسيولوجية لوسطاء تحضير الأرواح ..! موضوع آخر لا يمكن الإمساك به ..

وعاد (إيجور) يتأمل وجهه فى المرآة ..

لقد تسبب فى تدمير (هاثاواى) وإفناء مستقبله وأسرته .. لكنه لم يتعمد ذلك قط .. لا يمكن أن تلوم أحدًا على ما حدث حتى د. (مالكولم) ذاته ، كيف يمكن مساعدة (هاثاواى) ؟ لا أحد يعرف ..

وكما قال (مالكولم) منذ عامين :

ـ « نحن نلعب فى منطقة حساسة شديدة الانفجار .. لهذا آمركم جميعًا أن تكفوا عن العبث فى عقول الآخرين .. أعترف أننى كنت مُغفلاً كبيرًا حين ظننت هذا مفيدًا .. سنستمر فى علاجكم ومحاولة تهدئة الأعراض والتحكم فيها .. لكننا لن نحاول ألعابًا خطرة جديدة »

قالها وقدم إلى (إيجور) علبتين من (البنزوديازبين) المهدئ ، الذى يعتمد عليه اعتمادًا تامًا للسيطرة على هياج عقله ، وعلى نوبات الصرع الغامضة هذه .....

إن عامين لفترة طويلة حقًا ...

* * *

كان يحب اجتياز هذه الأزقة عندما يعود إلى داره ليلاً بعد ما يوصل (لارا) إلى دارها ...

كان يترك سيارته فى جراج قريب .. ثم يعود راجلاً عبر الأزقة المظلمة يتأمل القطط التى تتصارع فوق صفائح القمامة ، ويتعثر فى رجل ثمل أسند ظهره إلى الحائط وراح يغط ، يصغى لخطوات قدميه .. ويتلصص بأفكاره إلى ما خلف النوافذ المغلقة المضيئة .. « (هارى) .. أنت لا تنفق على بيتك مليمًا ! » « اخرسى أيتها الشمطاء ..! » « لقد نفدت الزجاجة ! » « أين ابنتك المراهقة ؟ إنها لم تعد حتى منتصف الليل .. »

كانت ابتسامة وحشية تغمر وجهه ...

هذا هو العالم الجديد الذى كان العم (أندريه) يتحدث عنه .. لاشىء سوى الخواء النفسى والانهيار .. إن هذا العالم يحمل جذور فنائه من الداخل .. ولكن متى ؟

هنا رأى ثلاثة ظلال تسد الطريق عليه ...

فى الضوء الخافت بدأ يميز وجوههم .. كانوا زنوجًا مراهقين يرتدون قلنسوات صوفية وسترات جلدية ليبدوا رعاعًا ... وكان أحدهم يلوك لفافة تبغ فى فمه .. ويلوح بمطواة رائعة الجمال فى وجه (إيجور) ..

وسمعه (إيجور) يقول بصوته الزنجى الذى يلوك الكلمات ويملأ بها فمه غليظ الشفتين :

ـ « هلم يا رجل .. هل تحمل نقودًا ؟ (قالها بالتعبير العامى الأمريكى : هل معك عجين ؟).. نحن جائعون ونريد ش

نحن جائعون ونريد شراء شطائر .. »

سرقة بالإكراه !.. واحدة من المعالم السياحية المهمة لـ (مانهاتن) !

تذكر (إيجور) كلمات (جيف) الزنجى فى معمل الجامعة : الزنجى فى (مانهاتن) لن يصير سوى عامل مصعد أو راقص أو لص .. ربما حالفه الحظ وتحول بعد موته إلى (زومبى) .....

إنهم ضحايا .. لكنه ليس المسئول عن تعاستهم ...

وهنا خطرت له فكرة : لمَ لا يحاول اختراق عقول

هؤلاء الفتيه ؟.. إنه لم يخسر شيئًا .. ربما لقنهم درسًا لن ينسوه أبدًا ...

نظر فى ثبات إلى عينى الفتى حامل المطواة و ....

هو ذا .. إنه يجوب طرقات القصر بسرعة غير عادية .. لن يضيع وقته فى فتح الأبواب لأنها لاتحوى سوى قاذورات .. هناك جدة زنجية شاب شعرها تزمجر فى حنق .. زنجى سكير يترنح ويطلق سبابًا بذيئًا : إننى عاطل .. كيف أطعمك وأنا لا أملك ثمن لفافة تبغ ؟! الأم تمسك مكنسة وتنظف الردهة ثم تئن وتمسك ظهرها .. مئات من رجال الشرطة يقفزون من سياراتهم ملوحين بهراواتهم .. أنت أيها الزنجى .. هل معك مخدرات ؟ هل كنت (تعدل الطاسة) مع رفاقك من القرود السود ؟

ثم الباب .. الباب الموصد إياه الذى يقود إلى العقل الباطن لم يكن مغلقًا بإحكام .. مجرد رتاج صغير .. لأن هذا الفتى لايملك أى احترام لنفسه ولم يعد لديه مايداريه عنها .. إن أسرار عقله الباطن ليست أسرارًا إلى هذا الحد .. وهو يفعل كل ما يبغى فعله دون وازع من ضمير ...

الغرفة عفنة الرائحة ملأى بالقذارة .. لكن (إيجور) راح يخرج محتوياتها ويبعثرها فى كل صوب ..

ثم إنه راح يبتعد عن الغرفة .. يهبط فى درجات السلم حتى خرج من القصر تمامًا ..

وحين وقف بالخارج كان الزنجى ما زال يلوح بالمطواة .. لكن عينيه مفتوحتان بلا هدف .. فمه كذلك مفتوح بلا هدف واللعاب يسيل منه ...

لاحظ زميلاه ـ فى رعب ـ أنه ليس على ما يرام ، فهزّه أحدهما فى عصبية .. وتساءل الآخر ملهوفًا :

ـ « (بيرى) .. ماذا دهاك يا رجل ؟ »

لكن (بيرى) ظل صامتًا كالبرغوث ..

ابتسم (إيجور) وقال للفتيين الزنجيين :

ـ « إنه لن يعود لعالمنا عما قريب .. والآن يا شباب .. من التالى ؟ »

تراجع الفتيان فى هلع حتى إن أحدهما أسقط صفيحة القمامة أرضًا .. وتحت حذائه انهرست علب الحليب الفارغة وقشور الموز وبقايا الصلصة ..

وهتف وهو يرمق (إيجور) :

ـ « بحق السماء .. من أنت يا رجل ؟.. أنت

الشيطان ذاته .. بالتأكيد أنت هو ! »

وصاح الآخر واللعاب يتناثر من فيه :

ـ « هل ترى الدم الخارج من منخريه ؟.. إنه هو ! »

دم ؟ تحسس (إيجور) أنفه فوجد دماء طازجة هناك .. غريب هذا !.. إن الاختراق يزيد من ضغط الشعيرات الدموية فى دماغه دون شك ....

هنا كان الزنجيان قد جرا زميلهما جرًا .. ووليا الأدبار مبتعدين .. راقبهما (إيجور) شارد الذهن ، ثم انحنى ليلتقط المطواة التى نسياها فى فرارهما على أرض الزقاق ..

ما إن أمسكها حتى سمع صوتًا يقول فى ذهنه :

« هلم يا دمية .. ليست مطواة غالية الثمن .. هى قادرة على أن تقتل فيلاً وتجعلك ترى أحشاءه .. »

كان يعرف الآن تفاصيل شراء هذه المطواة .. البائع هو وغد يدعى (شيكو) .. وقد تم البيع يومًا ما منذ شهرين .. وهذه هى أول (عملية) تستعمل فيها ...

هذا غريب !.. موهبة أخرى يعرفها عن نفسه ...

نفسه التى تحولت إلى صندوق مفاجآت يبهره كل يوم ...

* * *



كان يعرف الآن تفاصيل شراء هذه المطواة ..

- ١٥ -

طاخ طاخ طاخ !.. (حتى فى الظلام) ...

طاخ طاخ طاخ !.. (وأكثر ....) ...

هذا ليس جزءًا من الحلم .. إنه حق .. هناك من يقرع الباب فى فظاظة .. طاخ طاخ !..

قرص المنبه الفوسفورى يلتمع فى الظلام .. الثالثة صباحًا .. لا أحد يأتى فى الثالثة صباحًا ويضرب الباب بدلاً من الجرس .. ويكون صديقًا آتيًا لغرض ودّى ...

أضاء الأباجورة .. ونهض يتلمس طريقه إلى الباب وهو يحكم غلق الروب حول خصره ... وخلف الباب وقف ينصت هنيهة إلى أفكار الواقفين بالخارج :

« لابد أنه هنا .. ثمة صوت حركة ... »

« لن يقاوم .. فهو مسالم عادة .. ثم إن رؤيته للشارة كاف جدًا .. »

شارة ؟.. إن هناك أمرًا بوليسيًا يحيط بكل هذا .. ولكن لماذا ؟.. مستحيل أن يكون ذلك بصدد عصابة السود إياها .. فلا أحد يعرف من هو ولا عنوانه .. إذن ماذا حدث ؟

مدّ يدًا حذرة وعالج مزلاج الباب .. ليخاطب الواقف بالخارج من فوق سلسلة الأمان ..

رأى وجهًا صارمًا مربعًا له ذقن مشقوقة ، وأنف مشوه كأنف الملاكمين .. وجه رجل لا يمزح فى العادة ... ورأى تحت ذقن الرجل شارة لم يتبين ما هى لكنها تظهر النسر الأمريكى (الحكومى) إياه .. كان الرجل يظهر شارته له ..

- « مستر (إيجور تاركوفسكى) ؟ »

- « أنا هو .. »

بارتباك قالها .... كان يمقت الكيان الحكومى ويخشاه بطبعه ..

- « أنا من مكتب الاستخبارات المركزى .. الـ (FBI) .. هل تسمح لى ولزميلى بالدخول ؟ »

- « إنها الثالثة بعد منتصف الليل .. »

- « إنه أنسب وقت لما نريد مناقشتك فيه .. »

قال الرجل الآخر الذى لم ير (إيجور) وجهه :

- « ثم إنك وحدك هاهنا .. نحن نعرف هذا .. »

كان صوته وقورًا رصينًا .. بل يتظاهر بالوقار والرصانة ليبدو غاضبًا .. لكن (إيجور) عرف أنه

يكذب .. لم يراقبه أحد لمعرفة ما إذا كان وحيدًا أم لا .... وعرف كذلك أنهما من الاستخبارات حقًا ...

لكنه ـ على العموم ـ أزاح سلسلة الأمان وسمح للرجلين بالدخول .. كانا متأنقين تلك الأناقة المبالغ فيها والتى لا تنجح فى مداراة الشراسة والعضلات القوية .. أناقة (البودى جارد) .. إنها أشبه شىء بشراء بدلة غالية الثمن لغوريللا ...

قال الرجل الأول مربع الذقن وهو يتأمل الشقة :

ـ « إننا قد جئنا ها هنا لنقدم لك عرضًا لا يمكنك رفضه .. وزملاؤنا يقومون بذات الشىء فى أماكن أخرى .. »

جلس (إيجور) واضعًا ساقًا على ساق .. لن يعرض عليهما شرابًا فالأمر لا يحتمل المجاملات .. لاحظ أن الرجل الثانى ذا الصوت الوقور قد أشعل لفافة تبغ دون أن تكون هناك مطفأة بجواره ، فنهض ليضع جواره واحدة بطريقة تحمل شيئًا من اللوم ..

وقال في تؤدة :

ـ « أكون شاكرًا لو دخلت فى الموضوع دون مقدمات .. »

ـ « لك أن تراهن على ذلك .. لقد قام مكتب الاستخبارات المركزى بعمل دراسة مفصلة عنك وعن تاريخ حياتك منذ جئت إلى (الولايات) عام ١٩٤٢ وحتى اليوم ... ونحن نعرف أنك إنسان خارق للعادة يا مستر (تاركوفسكى) .. ولا أشك لحظة فى أنك تعرف ما نريد منك .. حتى قبل أن نتكلم .. »

كان (إيجور) بالفعل قد فرغ من قراءة ذهنيهما ..

إن الرجلين قد جاءا لتجنيده .. تجنيده ضمن سلاح جديد يعمل بالتنسيق مع (وكالة المخابرات المركزية) .. هذا السلاح يعتمد على ذوى الإدراك الفائق للحواس ..

لقد تم تجنيد رفاقه .. والمصدر متاح للجميع ألا وهو ملفات د. (مالكولم) الخاصة بدراسة (الباراسيكولوجى) ..

إن الفريق يضم الآن القادرين على قراءة الأفكار .. والقادرين على التخاطر .. ومن يحركون الأشياء عن بعد ، لكن (إيجور) هو الطائر النادر ها هنا .. إنه موهبة لاشك فيها ومكسب حقيقى للفريق ..

وهم يريدونه ...

الجنرال (فرايدمان) يريده ...

قال (إيجور) فى فتور وهو يسترخى للوراء :

ـ « ولماذا تريدون فريقًا كهذا ؟! »

قال الرجل مربع الذقن فى بساطة :

ـ « لأن السوفييت يملكون فريقًا مماثلاً .. »

* * *

نعود بالقارئ إذن إلى هذه السنوات الصاخبة فى بداية ستينات هذا القرن(*) ..

كانت القوتان العظميان ـ الشرق والغرب ـ على غير وفاق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .. الاتحاد السوفييتى سيطر على أوروبا الشرقية بقبضة من حديد وانزوى وراء ما سماه (تشرشل) بـ (الستار الحديدى) .. أما الولايات المتحدة الأمريكية فراحت تبشر بسلام أمريكى الطابع تسميه هى : (العالم الحرّ) .

إلى هنا كانت الأمور مستقرة ....

لكن الأوضاع دخلت منعطفًا مرعبًا فى ٢ مايو ١٩٦٠ .. منعطفًا كاد يودى بالعالم إلى الحرب النووية التى يرهبها الجميع ..

(*) أحداث القصة خيالية طبعًا .. لكن ما سنذكره هاهنا حقيقى تمامًا.

سقطت قرب (كييف) طائرة أمريكية للاستطلاع والتجسس من طراز (ى ـ ٢) ، بعد ما تمكنت الصواريخ السوفيتية من إصابتها .. ولسوء حظه نجا قائدها (فرانسيس باورز) من الهلاك لتستجوبه السلطات السوفيتية ، وتعرف كل شىء عن حقيقة مهمته .. وتجد صورًا لمنشآت عسكرية قام بتصويرها من الجو ...

وثار (خروشوف) .. وقام العالم ولم يقعد .....

وحين التقى القطبان (إيزنهاور) و (خروشوف) فى قمة (باريس) فى ١٤ مايو (بعد الحادث بعشرة أيام) ، ثار (خروشوف) ثورة عارمة ووجه إهانات مشينة لـ (إيزنهاور) ، لكن هذا الأخير تلقى الإهانات ببرود .. وقال :

ـ « إن التجسس لهو من حقائق الحياة ! »

وانتهى الأمر بتصعيد الموقف ، أطلقت (روسيا) صاروخًا ضخمًا إلى الفضاء كتحدٍّ واضح للأمريكيين ، وأعلن (جروميكو) وزير الخارجية أن الصواريخ النووية السوفيتية قادرة على الوصول إلى أى مكان فى العالم ....

وفى ٧ أغسطس من نفس العام ازداد الطين بلة حين وافق (فيدل كاسترو) على قبول صواريخ سوفيتية فى (كوبا) ..

إن (كوبا) هى على مرمى حجر من الولايات المتحدة .. وقبول صواريخ فيها يعنى تهديد أمن أمريكا فى مقتل ..

لقد ظل نظام (كاسترو) الشيوعى المتعصب يشكل صداعًا للحكومة الأمريكية ، وإن تورط المخابرات الأمريكية فى عملية (خليج الخنازير) لمثال واضح لكراهية أمريكا لـ (كاسترو) ..

وفى العام الحالى ـ ١٩٦٢ ـ حلقت طائرات التجسس الأمريكية فوق (كوبا) ، ووجدت قواعد للصواريخ السوفيتية هناك ..

وقد تعهدت (روسيا) بسحب هذه القواعد مقابل أن تتعهد (أمريكا) بعدم غزو (كوبا) ، وبسحب قواعد صواريخها فى (تركيا) ..

هذه هى الصورة للموقف الدولى فى ذلك الوقت ، وهى صورة معتمة لها رائحة الموت ومنظر (عش الغراب) المميز للسحب النووية ..

لكن العملاقين كانا يعرفان متى وأين يتوقفان .. أما (إيجور) فلم يكن يعرف .....

* * *

نظر (إيجور) إلى الرجل مربع الذقن فى تحد .. وسأله :

ـ « وماذا يرغمنى على قبول هذا التجنيد ؟ »

قال الرجل وهو يبحث فى جيوبه عن علبة تبغه :

ـ « لاشىء .. إن حرية القبول أو الرفض مكفولة .. »

ـ « إذن أنا أرفض .. »

كان الرجل قد وجد علبته ، فأشعل لفافة تبغ بقداحة ذهبية .. ثم أخرج خيطًا دخانيًا من أنفه .. وقال :

ـ « إذن يمكننا الانصراف .. لكن دعنى أذكرك بأنك بولندى وأنت تعرف معنى هذا .. يمكن للكثيرين فى مكتبنا أن يتصوروا ـ وهذا خطأ طبعًا ـ أنك تدين بالولاء للاتحاد السوفيتى .. إن هذا يحدث كثيرًا .. وعندئذ .. ربما وجدوا لديهم أدلة تتهمك بالشيوعية .. »

تصاعد الدم إلى رأس (إيجور) :

- « أنت تهددنى فى دارى متظاهرًا بالتفاهم .. »

- « بل أقول لك ما قد يحدث .. »

- « أنا ترعرعت فى أمريكا ، ونسيت كل شىء عن (بولندا) .. »

قال الرجل الثانى وهو يدخن لفافة تبغه :

- « لا توجد حلول وسط هنا .. أنت لست معنا .. إذن أنت ضدنا .. »

تثاءب (إيجور) ووقف يلملم أطراف الروب على جسده ، ثم اتجه إلى باب الشقة ففتحه .. وقال ببرود :

- « إن حديثكما شائق أيها السيدان .. لكنكما تريان أن النعاس يمنعنى من الاستمتاع الكامل به .. لهذا .. لو سمحتما ...... »

أطفأ الرجل ذو الذقن المربع لفافته بدوره .. ثم نهض .. وعيناه لا تفارقان (إيجور) الواقف جوار الباب ينتظر ..

وببسمة ذئبية غمغم :

- « إنك لا تدرى ما سنقدمه لك يا سيدى .. »

لكن (إيجور) عرف ما يعنيه .. سمع الكلمات واضحة تتردد فى ذهنه .. وعلى الفور رفع عينيه نحو الرجل .. وتساءل :

- « أنتما تعرفان مكانه ؟ »

- « نعم ....! »

كانت الكلمات التى سمعها فى عقله تقول بصوت وقور :

« نحن نملك أن نقودك إلى (سيدلتزجابلر) ! »

* * *



ـ « تصورى هذا .. ! منذ كنت فى الخامسة من عمرى
وأنا أنتظر لقاء هذا الرجل ..

ـ « إنك لن تقبل هذا يا (إيجور) .. »

ـ « بل لن أقبل سوى هذا .. »

كانت (لارا) واقفة فى المطبخ تعدّ بعض القهوة والبسكويت لهما ، وكان شعرها الأشقر منتثرًا فى غير نظام على كتفيها .. لكن (إيجور) لم يرها أجمل من هذا فى حياته ..

قال لها وهو يخرج دورق اللبن من الثلاجة :

ـ « تصورى هذا ..! منذ كنت فى الخامسة من عمرى وأنا انتظر لقاء هذا الرجل .. (سيدلتز جابلر) .. الذى قضى على قومى وأذلّهم .. الذى جعل أمى تركض حافية القدمين بثياب البيت فى الطرقات .. وبرغم هذا لقت حتفها .. »

ـ « أنت تبالغ .. لم يكن يفعل سوى ما أمروه به .. كان جنديًا .. »

ـ « هراء ! »

قالها فى اشمئزاز .. وأردف :

ـ « إن الجندى يفعل ما يؤمر به .. لكننى أشك فى

أمره إذا ما أظهر قدرًا زائدًا من الحماس لإرضاء ساديته الخاصة .. وحين يقتل الجندى امرأة أو طفلاً لا أقول إن رؤساءه أمروه بذلك .. بل أعتبره سفاح حرب .. وحشًا آدميًا يجب أن يُباد .. »

ـ « مضى ردح من الزمن على هذا .. »

ـ « جرائم الحرب لا تسقط مع الزمن .. واليهود يطاردون جنرالات النازى حتى هذه اللحظة انتقامًا .. هل تعرفين لماذا نسى العالم (سيدلتز جابلر) هذا ؟ »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لأنه لم يقتل يهوديًا .. ولو فعل لعرف هؤلاء كيف يقتصّون منه ..»

تنهدت (لارا) فى استسلام .. وبدأت تصبّ القهوة زكية الرائحة فى قدحين .. ثم سألته :

ـ « ألم تتلصص على أفكار رجلى المكتب الفيدرالى هذين ؟ »

كان قد صارح (لارا) بالحقيقة منذ شهور .. ولم تصدق حرفًا بالطبع برغم أن هذا يفسر لها الكثير من تصرفاته .. لكنها راحت تجاريه فى حديثه عن (الاختراق) هذا ..

قال لها وهو يتناول قدحه :

ـ « لم يكونا يعرفان مكانه .. فهما ليسا حمقى .. لابد من سبيل للضغط علىّ .. ولن يكون هناك ضغط إذا ما عرفت موضع الجنرال .. »

ـ « إذن أنت ذاهب لتقابل .... »

ـ « نعم .. جنرال (فرايدمان) .. الآن ودون تأخير .. »

ووضع القدح .. وتناول معطفه ...

★ ★ ★

كان الجنرال (فرايدمان) رجلاً فى منتصف العمر تلوح عليه أمارات النعمة والرضا عن النفس .. أميل للبدانة .. يرتدى ثيابًا مدنية أنيقة .. وله أظفار منسقة نظيفة لفتت نظر (إيجور) بشدة .. إن شخصًا يملك هذه الأظفار هو شخص لا يمكن العبث معه ...

قال الجنرال وهو يصب قدحين من الشراب :

ـ « كن على سجيتك يا مستر (تاركوفسكى) .. إن كونى جنرالاً لا يعنى شيئًا .. ليس هذا هو المكان العسكرى الصارم الذى تتصوره .. إن جونا هنا أسرىّ بمعنى الكلمة .. »

كان علـى حق .. فالمكـان شـديد الأناقـة .. يوحـى بالاسترخاء والمودة .. وكانت هناك نافذة كبيرة تشكل جـدارًا بأكملـه يستطيع (إيجـور) منهـا أن يـرى (مانهاتن) كلهـا .. وثمـة (أنتريـه) مريح مزدحـم بالطنافس .. ومكتبة على شكل كرة تتوسط الغرفة ..

لكن المكان يعجّ بأجهزة التسجيل ....

عرف (إيجور) هذا وأحس به على الفور ...

كان ردّه بليغًا وعمليًا .. إذ نهض واتجه فى هـدوء إلى لوحة تمثل إحدى مذابـح (ديلاكروا) الشهيرة ، وانتزعها من مكانها ، وبيد واثقة مزق سلك وسماعة جهاز التنصت الموجود خلفها .. ورماهما أرضًا ...

ثم مدّ يده إلى منفضة التبغ المعدنية ، ورفـع يده يبغى قذفهـا علـى عدسـة الكـاميرا المصوبـة علـى المكان ، والتى اتخذت شكل كشاف صغير ..

ـ « توقف ! »

قالها الجنرال فى حزم .. ثم أردف متلطفًا :

ـ « إن كل هذه الأشياء من أموال دافعى الضرائب .. وهى ليست رخيصة الثمن .. »

عاد (إيجور) إلى الجلوس وهو يرمق الجنرال فى تحدّ .

ضحك الجنرال وناوله قدحًا من الشراب .. ثم قال :

ـ « أنت موهـوب حقًـا .. موهـوب .. قـدرات غير عادية .. »

جرع (إيجور) من قدحه .. وغمغم :

ـ « ترى إذن يا سيدى أن الجو ليس أسريًا جدًا .. فلا داعى لإضاعة الوقت فى المجاملات .. أنا لا أرتاح لكـم وأنتـم لاتثقـون فـى .. فلنتحـدث فـى الأعمـال الآن .. »

ـ « هووم .. أنت رجل واقعى وهذا يسرّنى .. »

قالها الجنرال وهو ...

(لكن ذهنه خاو تمامًا هو الآخر)

يشعل سيجارًا ويطفئ النور ..

كـانت هنـاك شاشـة مـا .. عليهـا رأى (إيجـور) خريطـة لجنـوب الولايـات المتحـدة ، وعليهـا راح الجنرال يشرح الموقف ...

★ ★ ★

بعد ما فرغ الجنرال من شـرح الأمـور ؛ قـام بقرع جرس بجانبه .. وتحدث فى جهاز (الديكتافون) :

- « (صمويل) .. هات باقى أعضاء الفريق .. »

وبعد هنيهة .. رأى (إيجور) الباب ينفتح ويدلف منه أولئك الذين نسى كل شىء عنهم منذ عامين ..

(جيف) الزنجى .. (شندلر) الألمانى .. (ماكجافن) .. د. (مالكولم) .. كلهم من جديد وبالطبع لم يكن (هاثاواى) بينهم .. وكان معهم اثنان آخران يراهما للمرة الأولى .....

صاح (جيف) ما إن رآه .. بصوته الزنجى الذى يضغط على المقاطع :

- « هيه يا رجل ! مرّ وقت طويل .. أعطنى خمسة يا جدع ! »

[أعطنى خمسة] هى الكناية الأمريكية عن المصافحة .. تتلو تلك مصافحة خشنة فظة أشبه بالمصارعة ..

بعد العديد من المصافحات واللكمات ، قال الجنرال :

- « كما ترى يا مستر (تاركوفسكى) .. هذه هى مجموعة الـ Espers التى تعمل معنا ، ولا أخفى سرًا إذا قلت : إنكم لن تلتقوا مرة أخرى .. »

نظر إليه (إيجور) .. بعد قليل تساءل :

- « أين الجنرال ؟ »

- « آه !.. تعنى جنرال (سيدلتز جابلر) ؟.. نحن نعرف مكانه بدقة ، لأننا نعرف أنه الطريقة الوحيدة لإقناعك .. إنه فى دولة ما .. عملاؤنا هناك يعرفون كل شىء عنه .. لكننا لن نخبرك به إلا حين نفرغ مما نريده منك .. إنها صفقة كأية صفقة أخرى .. ولا أحد يقبل دفع ثمن شىء حصل عليه فعلاً »

وابتلع ريقه مفكرًا .. ثم أردف :

- « بل نحن على استعداد لأن نسهل لك اغتياله لو أردت .. أو نصفيه جسديًا بمعرفتنا .. لكنى أظن أنك تفضل القيام بهذا شخصيًا .. »

- « هذا لطيف منك .. وماذا عن اختراق عقولكم لمعرفة مكانه ؟ »

ابتسم الجنرال فغدت عيناه أخبث وأضيق :

- « لو استطعت لفعلت .. لكن الحقيقة هى أننى ومن حولى لا نعرف شيئًا عن هذا .. عبثًا تحاول اختراق أذهاننا ..، إن كل المعلومات عن الجنرال (جابلر) موجودة فى ذهن (بيتر شندلر) .. هو

الوحيد الذى يعرف كل شىء عن مواطنه .. لكن عقل (بيتر) مستحيل الاختراق كما تعلم لأنه Esper سلبى إلا أن (بيتر) سيخبرك بكل شىء فى الوقت المناسب .. »

يا لكم من أوغاد !.. لقد أحكمتم حصارى حقًا ..!

وقف الجنرال وسط أسراه يبتسم .. ثم رفع يده كأنه يعلن عن مفاجأة حفل .. وهتف :

– « الآن يا شباب .. مهمتنا هى الإجابة على السؤال التالى : هل توجد قواعد صواريخ ذات رءوس نووية فى (كوبا) أم لا ؟! »

* * *

فى الأيام التالية حضر (إيجور) دورة مكثفة فى اللغة الروسية – ما أعقدها لغة ! – كى يفهم ما يفكر فيه الروس .. بالطبع هؤلاء يفكرون بالروسية ، وكان اثنان من الفريق يحضران دورة مكثفة فى اللغة الأسبانية ...

بالطبع كانت الدورة مركزة حول مصطلحات مثل (صاروخ – نووى – بارجة – حلف شمال الأطلنطى –

قواعد – تجسس) .. حتى تمنى (إيجور) لو يعرف معنى كلمات (حبّ – زهور – شعر – غروب) بالروسية .. لكن أحدًا لم يعره اهتمامًا ...

* * *

الهدف هو مقهى فى (واشجتون) يتردد عليه بعض الرجال من أصل سوفيتى ...

الرجل ذو الشارب الكثّ الأحمر هو مهندس من (كييف) .. اسمه (أندريه إيزاكوف) .. الحقيقة التى يعرفها الجميع هى أنه ضابط بالمخابرات السوفيتية : (كى – جى – بى) اسمه (إيفان زاروف) .. وهو رجل ذو حيثية فى عمله ...

إنه لا يثير ضوضاء حوله ، ولا يقابل أحدًا من العملاء ، أمريكى الجنسية لأنه يعلم أن وضعه محفوف بالشكوك ..

نحن نراقبه منذ عام دون جدوى .. فالذئب حذر جدًا .. يراقب كل شىء دون ردود أفعال .. لا يرسل خطابات ولا رسائل لاسلكية .. ولا يلتقى بأحد ..

هذه المرة لا نريد الإيقاع به ..

نريدك أنت يا (إيجور) أن تخترق عقله ..
وتعرف كل شيء عنه .. وكل خطة تختمر فى ذهنه ..
إنه يعرف الكثير حتمًا ..
ونريد أن نعرف هذا الكثير ..
نفّذ ....!

* * *

الجزء السادس

(واشنجتون) ـ ١٩٦٢

- ١٧ -

كعادته فى الأسبوعين الأخيرين ، راح (إيجور) يتردد ليلاً على مقهى (كارديف) ليتناول قدحًا أو اثنين من الشراب .. وبالطبع يختلس نظرة أو اثنتين نحو المائدة الصغيرة التى يجلس عليها (زاروف) يدخن ... وقد وضع أمامه زجاجة من (الفودكا) وراح ينظر أمامه فى ثبات ..

لم يكن يتحدث أبدًا ..

أحيانًا كان أحد السوفييت المتأمركين يجلس معه إلى المائدة .. فلم يكونا يقولان شيئًا .. مجرد تعليقات سطحية على الشراب أو نوعية الموسيقا الدائرة ...

لو كان هناك من يتنصّت على كلامهما لوجد فى نفسه خيبة أمل .. لكن (إيجور) يختلف .. إنه يسرق الأفكار ذاتها من رأسيهما ..

يتردد صوت الخطوات فى الردهة ، ويدوى صوت خشن غليظ النبرات يتحدث بالروسية :

« إن هذا المقهى كئيب للغاية .. سئمت روّاده وشرابه وموسيقاه .. لكنها التعليمات .. هذا هو

مكان اللقاء .. سوف يضع (بوريس) الميكروفيلم تحت الكأس .. ثم ينصرف بدعوى أنه شرب كثيرًا .. بعد هذا ينتقل الميكروفيلم إلى جيبي .. لا أحد يمكن أن يلاحظ ما يدوّر مهما كان دقيقًا .. هيه ! إن هذا الأشقر ذا الأنف الغريب يتردد على المقهى بانتظام مريب .. لا يبدو عميلاً أو جاسوسًا .. لكنى لا أرتاح له ..

لقد رأيت عينيه ترمقانى باهتمام أكثر من مرة .. إيه يابن الشيطان .. إنك لن تعرف شيئًا ولن تفهم شيئًا .. لن تفهم حتى أرسل الميكروفيلم إلى الخارج وراء طابع البريد الملصق على مظروف .. إن الخطاب مُرسل إلى (فرنسا) فلن يشك أحد فى أمره .. ولا أحد يكلف خاطره بانتزاع الطوابع من فوق المظاريف المرسلة إلى الخارج .. إن (ميخائيل بوكاتوف) رجلنا فى (فرنسا) ليس هينًا ، ولكن .. أكاد أقسم أن هذا الفتى يراقبنى ! للمرة الثانية فى دقيقة واحدة أرفع عينى فأرى عينيه تتفحصانى .. ولكن صبرًا .. ليس جديدًا أن يكون كل رجال المخابرات

المركزية فى إثرى .. ولكن دعهم يميزون شيئاً مما أفعله .. هذه هى البراعة الحقيقية ..

كان هذا نصراً فى حدّ ذاته بالنسبة لـ (إيجور) .. من الممكن فى أية لحظة أن ينقضّ رجال الشرطة على المائدة ليجدوا (الميكروفيلم) تحت قاعدة الكأس ، ويقبضوا على (زاروف) ..

لكن (إيجور) كان يبحث عن شىء أكبر من مجرد جاسوس يتم القبض عليه .. كان يفتش فى ذهن (زاروف) عن المزيد ....

راحت الأفكار الثرية تتوالى .. يسمعها (إيجور) تدوى بالروسية فى دهاليز القبو :

« حين نفرغ من هذا الموضوع ؛ لن يكون هناك مجال للحديث عن صواريخنا ذات الرءوس النووية فى (كوبا) ... إن (كاسترو) يعرف كيف يعالج الأمور عنده .. ثم إن خبراء التمويه السوفييت الذين يصلون هناك بعد غد سينجحون فى خداع الاستطلاع الأمريكى تماماً .. »

هل هذا مهم ؟

إذن اصغ إلى ما سيقال بعده :

« يجب الاتصال بـ (جون ديوى) .. إن علاقاته فى وزارة الدفاع ستتيح لنا المزيد من .. رباه ! إنك لا تضم جنرالاً إلى عملائك كل يوم .. إنه لصيد ثمين .. لكن الاتصال به ليس متاحاً إلا عن الطريق (القناة السرية) .. و ... إن هذا الرجل مصرّ على مراقبتى .. دعه يفعل .. كم أن منظره غريب !.. لا يبدو لى أمريكياً .. كأنه من شرق أوروبا .. يتظاهر بأنه لا يلاحظنى .. يدفن وجهه فى كأسه .. هذه حيل قديمة يا فتى لا تخدع رجل مخابرات مثلى .. »

هل هذا كاف بصورة مرضية ؟

خذ عندك المزيد من الأفكار :

« (أولجا) .. ملاكى .. ماذا تعملين فى (كييف) فى هذه اللحظة ؟ عامان كاملان لم أر فيهما وجهك الحزين الشفاف .. و .. هل عاد ذلك الوغد (سيرجى فلاسوف) يحوم حولك ؟ ابن الـ .. أنا أعرف أنك لن .. ولكن الفراق قد يسبب الـ .... هل بدأت عواطفك تميل نحوه ؟ لا يا (أولجا) .. أنا أعرف أن ...... سوف

أحضرك لتعيشى هنا معى .. فى (واشنجتون) .. وعندئذ .. الويل كل الويل لـ (سيرجى فلاسوف) لو مس إصبعًا من ...... »

هو ذا العميل السوفييتى قد بدأ يجنح للرقة .. يبدو أن هناك إنسانًا وراء مركز المعلومات الآدمى هذا ..

وهنا رأى (إيجور) (بوريس بودونسكى) يدنو من المائدة ..

كان يعرفه جيدًا .. فقد رآه مرارًا فى الفترة الأخيرة .. كان أصلع الرأس عوّض صلعه بإطالة ما تبقى من شعره ليتهدل على كتفيه .. بنيًا ناعمًا ، وكان يرتدى سويترًا جلديًا لامعًا ويلوك العلكة على سبيل (التأمرك) ..

جلس ـ كالعادة ـ إلى مائدة (زاروف) .. وحيّاه :

ـ « دوبرى فتشير تافاريشتش »

ـ « دوبرى فتشير .. »

طبعًا لا داعى للقول أن هذا معناه مساء الخير يا (رفيق) بالروسية ..

ـ « سادى تيسَ ..»

ـ « سباسيبا .. يا جالودين ..»

ـ « بوتيلكوفينا ؟ »

ـ « دا .. دا .. سباسيبا .. »

المحاورة التقليدية : اجلس .. شكرًا .. لكم أنا ظمآن .. هل لك فى بعض الخمر .. ؟ نعم شكرًا .. نذكرها للمهتمين باللغة الروسية .

ثم بدأ الحوار الهامس من خلف شفتين شبه مطبقتين .. ودون أن تتلاقى النظرات (دعونا نسمعه مترجمًا) :

ـ « لا أرتاح كثيرًا لهذا الأشقر هناك .. »

ـ « هذا ؟.. لقد رأيته فى الأيام السابقة .. »

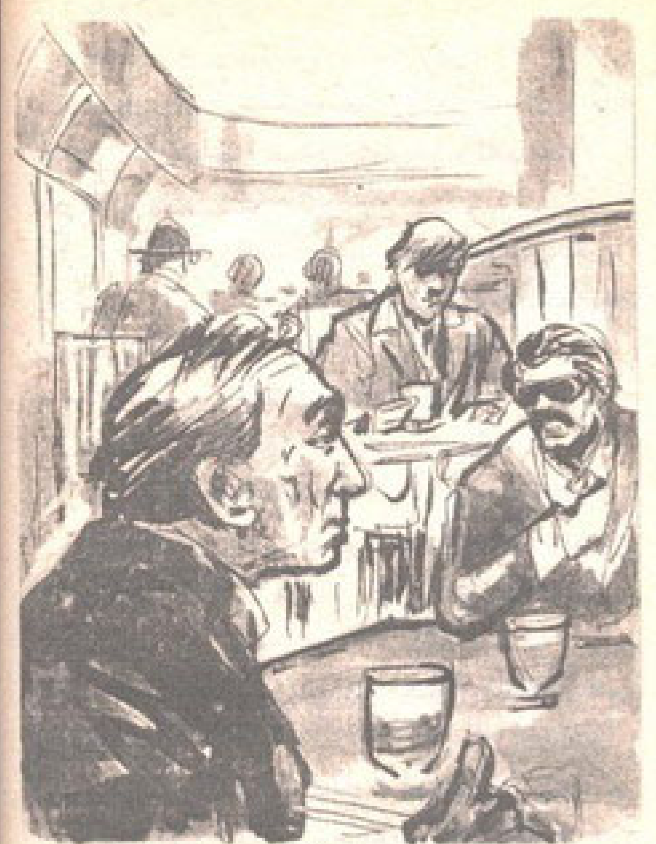
ـ « أكثر من اللازم .. هذا هو ما أريد قوله .. »

فكر (إيجور) فى مغادرة المكان .. ثم رأى أن هذا يدعو إلى الشك أكثر .. فهو ـ من المفترض ـ لا يسمع ما يقال بشأنه ..

المهم ألا ينظر .. وليتابع الحوار والأفكار فى اهتمام ..

قال (زاروف) بذات الصوت الهامس :

ـ « لن تكون هناك (معاملات) حتى نعرف من هو .. »



فكر (إيجور) فى مغادرة المكان .. ثم رأى أن هذا يدعو إلى الشك أكثر ..

ـ « ليكن .. »

ـ « سنلتقى فى ...»

وعرف (إيجور) أن (زاروف) يخرج ورقة .. ورأى بعين ذهنه رسمًا كروكيًا يوشك أن يُرسم على الورق .. ما زال الرسم فى عقل (زاروف) الذى يحاول ألا يتكلم قدر الإمكان .. وكالعادة سيلى هذا حرق الورقة التى عليها الرسم ..

بحركة غريزية نظر (إيجور) من فوق كتفه إلى الورقة التى فى يد (زاروف) .. لم يكن لهذا معنى ولا داع .. فهو يعرف جيدًا محتوى الرسم قبل أن يُرسم ..

لكنه قابل عينى (زاروف) الحادتين ترمقانه فى اهتمام ..

وفى ذهنه سمع صوت السوفيتى يتردد :

« هووم ! هذا غريب ! »

عاد (إيجور) إلى جلسته يتظاهر بأنه زبون عادى برىء .. لكنه أحس بأنه قارف خطأ فادحًا .. خطأ لم يدرك مداه إلا حين سمع (زاروف) يهمس لرفيقه :

ـ « هل لاحظت ما حدث ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « لقد سمعنا !.. عرف أننى سأحدد لك موقع اللقاء !..

كيف استطاع هذا ؟ »

ـ « ربما هناك مكبرات صوت تحت المائدة أو .... »

ـ « حتمًا لا .. إننى حريص على تبديل المائدة فى كل مرة ومصباح جهاز (الكشف) لم يتألق .. أعتقد أن هذا الفتى ... لا أدرى .. كأنه يقرأ أفكارنا ! »

ـ « (إيفان) .. لا تكن سخيفًا .. »

ـ « وأنت أغبى من مستنقع بما لا يقاس .. أقول (كأن) .. وإن كنت لا أدرى كيفية سماعه لهمسنا هذا .. حتى مع أدق وسائل (التكنولوجيا) يحتاج هو إلى وسيلة (استماع) .. »

ـ « لاشك أنها مصادفة .. »

ـ « أظن هذا ... »

كانت هذه هى النقطة التى عادت فيها الدماء إلى (إيجور) .. فاستراح بمرفقيه إلى المنضدة وتنهد تنهيدة الخلاص .. غير متوقع أن هذا هو الخطأ الثانى ..

من جديد ينظر له (إيفان) فى شك ويقول لمحدثه :

ـ « هل رأيت هذا ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « لقد بدا عليه الارتياح وتنهد مسرورًا حين أنهينا الحديث عنه .. إن هذا الرجل يسمعنا وأقسم على هذا بقبر أمى .. »

ـ « ألا ترى أنك تبالغ ؟ »

ـ « بلى .. أنا أبالغ .. لهذا صرت ما أنا عليه .. لأننى أبالغ .. ولا أترك التفاصيل الدقيقة تمر .. »

ومدّ يده إلى علبة تبغه .. فأخرج لفافة هشم (الفيلتر) الخاص بها ، ودسها فى مبسم فاخر كعادته .. ودسّ هذا الأخير بين شفتيه ووقف ..

ـ « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

ـ « لحظة .. أعود بعدها إليك .. »

وفى ثقة مشى نحو المنضدة التى يجلس (إيجور) إليها .

* * *

راح (إيجور) كالمحموم يفتش فى ذهن (إيفان) ليعرف ما ينوى هذا الأخير عمله .. لماذا يتجه نحو مائدته ؟

وكان ما سمعه غير مطمئن بالمرة :

« يمكننا الانتهاء منه سريعًا دون مشاكل .. ضغطة على هذا (الفيلتر) من وراء ظهره ، وتنطلق إبرة (السيانيد) لتستقر فى عنقه .. سيموت دون ضوضاء .. ولن يعرف أحد أبدًا من فعل ذلك .. إن من أرسلوه سيعرفون .. لكنهم لن يستطيعوا إثبات شىء .. ضغطة واحدة يعرف بعدها مدى تقدم المخابرات السوفيتية .. هيا ! »

أجفل (إيجور) ونهض من مقعده كمن داس سلكًا كهربيًا .. تراجع بضع خطوات للوراء ليصطدم بالعميل السوفييتى ، وقد وقف يرمقه فى ثبات وأسنانه تلوك المبسم فى إصرار .. وعلى ثغره ابتسامة ذئب لو أن الذئاب تبتسم ..

بلغة إنجليزية مهشمة قال له :

- « معذرة يا رفيق .. أرجو ألا أكون قد أفزعتك .. يبدو أن نوع التبغ الذى أستعمله لا يروق لك ! »

دمدم (إيجور) ببضع كلمات ، وعاد إلى الجلوس .. فى حين مشى (إيفان) عائدًا إلى مائدته ، حيث كان

(بوريس) ينتظره وعلى وجهه علامات الغباء (أغبى من مستنقع) على حدّ قول (زاروف) ..

جلس (زاروف) فى تؤدة إلى المائدة .. وصبّ لنفسه بعض (الفودكا) .. ثم قال بصوت غير خفيض لزميله :

- « تجربة مقنعة .. كنتُ على حق ! »

- « فى أى شىء ..؟ »

- « هذا الرجل يقرأ أفكارنا .. إنه ليس إنسانًا عاديًا .. إنه فائق للحواس .. Esper كما يقول الأمريكان !! »

........................!

* * *

- ١٨ -

قال (زاروف) لصديقه :

- أردت أن أتأكد من شكوكى .. وضعت عقلى فى حالة ذهنية خالصة ؛ لأقنعه أن هذا المبسم البرىء يحوى سهمًا سامًا .. والنتيجة هى ما رأيت أنت .. لقد وثب مذعورًا ؛ ليتفادى السهم .. كأن هذا الأحمق يحسبنا من الغباء إلى حدّ قتله هنا .. يبدو أنه يقرأ الكثير من الروايات الجاسوسية الرديئة حيث يقتل الناس بعضهم بأشياء تنطلق من السجائر طوال الوقت .. »

ثم مط شفتيه مشمئزًا :

- « إنه ليس محترفًا على الإطلاق .. »

تساءل (بوريس) فى حيرة :

- « وموضوع الـ Esper هذا ؟ »

- « هذا موضوع قديم يا عزيزى .. ولدينا فى الـ (كى - جى - بى) العديد من قارئى الأفكار هؤلاء .. لهذا لا أجد الأمر غريبًا كما تجده أنت .. »

ثم بصوت جادّ هذه المرة :

- « المهم الآن ألا تفكر فى أى شىء .. لا تدعه يَرَ شيئًا .. فكّر فى الأطفال .. فى الرقص .. فى الأرنبة (ماشنكا) .. »

كان (إيجور) جالسًا فى مقعده فى أسوأ حال ..

لقد كان أحمق .. والرجل كان عبقريًا إلى حدّ لا يصدق .. والآن قد تورطت قدماه إلى حدّ مزر فى هذا المستنقع .. فلم يعد أمامه سوى مغادرة المقهى قبل أن تزداد الأمور سوءًا ..

سيقول للجنرال : إنه فشل .. لكنه يعرف ما يكفى لهذا اليوم .. هناك صواريخ نووية .. وهناك (جون ديوى) فى البنتاجون يتعامل مع السوفييت سرًا .. دعك من أسلوب (الميكروفيلم) وراء طوابع البريد .

أليس هذا كافيًا ؟..

بلى .. وضع ورقتين ماليتين تحت كأسه ونهض لينصرف .

ولم يفته وهو يتجه لباب المقهى أن يعرف أن (زاروف) يرمقه فى اهتمام .. وأنه يفكر عمدًا :

« صبرًا يا صديقى .. ولسوف نلتقى ثانية ..

فالحقيقة هى أنك تعرف الكثير .. تعرف أكثر مما يجب .. »

ثم سمعه يهمس لـ (بوريس) :

ـ « هل سيارتك بالخارج ؟.. علينا تعقب هذا البرغوث إلى جحره .. هيا بنا سريعًا .. »

* * *

الظلام فى الخارج .. ومن بعيد تتناثر أضواء بعض الأندية الليلية .. رباه إن الطقس بارد .. والشارع خال تمامًا ..

كان (إيجور) يلهث وهو يدس يديه فى جيبى معطفه ، ويخف السير نحو سيارته التى استأجرها منذ أسبوعين .. كان يعرف أن الرجلين يريدانه .. بل لمَ لا يقتلانه ؟ إنهما لن يجدا مكانًا أنسب ولا ظروفًا أفضل ..

لا لن يقتلاه .. إنه يسمع الفكرة واضحة فى ذهن (زاروف) .. سيخطفانه لمعرفة من أرسله ..

ومن ورائه ـ عند مدخل المقهى ـ رأى رجلين يخفان السير نحوه .. أحدهما أصلع الرأس بادى الضخامة ..

بحث عن ....

(أصابعى قد تجمدت !)

المفاتيح ، وأولج مفتاح السيارة فى الباب ، ثم عالج (الكونتاكت) .. لحظة ثقيلة مضت ولم يحدث شىء .. إنه البرد .. المحرك يأبى أن يتحرك ...

مرة ثانية ....

(لن تكون هناك ثالثة)

عالج فيها المحرك .. و.. أخيرًا .. صوت الكروكروكرو المحبب ينبعث من السيارة .. الأنوار تضىء .. والوحش المعدنى النائم يعود إلى الحياة واعدًا بحمايته ..

ويبتعد عن مسرح الجريمة ـ الجريمة التى كانت ستحدث حتمًا ـ بسرعة لا بأس بها .. لكنه كان يرى ضوء سيارة الرجلين إذ تتحرك فى إثره .. هذا طبيعى .. إن سيارات المطاردين لا تتعطل أبدًا .. سيارة الفرائس هى التى تتعطل دومًا ..

الآن يندفع (إيجور) فى شوارع (واشنجتون) وهو لا يبرح عينيه عن المرآة .. يرى فيها كشافى سيارة مطارديه يلتمعان فى إصرار شرير ..

إنهما لم يتركا له فرصة .. لم ينتظرا حتى يتصل

برؤسائه .. وهو ليس بارعًا فى القيادة إلى هذا الحد ..

* * *

راتاتاتاتاه !.. بوم !..

« هذه الناحية مغلقة » ..

« اخرس .. إنك تثير أعصابى .. اخرس ! »

راتاتاتاتاه !.. بوم !.. ثم ينزل الجنرال (جابلر) نظارتيه المقربتين عن عينيه ....

* * *

المطاردة مستمرة ...

لكنها لن تطول ..

لابد من عربة (لورى) أو سكير مترنح أو امرأة تتعلم القيادة تعترض سيارتها طريقه ؛ فيضطر إلى ضغط الفرامل .. وعندئذ ...

لن تطول المطاردة ....

إنه لكابوس .. كيف تبدل الوضع بهذه السرعة ؟ خلال ربع ساعة صار هو الفريسة التى يطاردها الغولان ..

وهنا بدأ يعيد التفكير ....

لم يكون هو الفريسة ؟ لماذا يفر ؟

إن (بوريس) هو من يقود السيارة .. فلماذا لا تحاول اختراق عقله ؟ إنك تملك السيطرة التامة على عقول الآخرين .. فلن يكون (بوريس) طفرة ..

لكن .. المسافة ..

هل تستطيع عمل ذلك مع بعد المسافة بينكما ـ حوالى عشرين مترًا ؟ ـ لم تجرب من قبل .. لكن هذا جدير بالمحاولة ...

راح (إيجور) يرسل أفكاره نحو السيارة التى خلفه ..

اخترق رأس (بوريس) الأصلع فوجد نفسه فى رواق ممتد .. بهو القصر المعتاد .. كانت هناك أصوات فرامل ومحركات سيارة .. وأفكار اللحظة :

« صبرًا .. يحاول أن يكون بارعًا .. إنه يأخذ المنحنى .. الأحمق !.. إن طريقه مسدود .. لن يقهر (بوريس بودونسكى) أبدًا .. »

ومن بعيد تتعالى أصوات رقصة (البولكا) الروسية ، وأنغام على (البالالايكا) .. وتسيل أقداح من (الفودكا) يليها تهشيم الأقداح نفسها على حاجز المدفأة ...

(إيكاترينا) !.. يا لها من إنسانة قاسية فظة .. أنت أصلع وهذا ليس ذنبك .. إنها مؤامرة من الهرمونات والجينات .. لكنها لا ترحم .. تضرب على صلعتك وتقهقه ساخرة ..

ملحوظة من د. (رفعت) : إحم !...

حصار (ستالنجراد) .. كنت شابًا غض الإهاب .. وكنت ترتدى الخوذة وترتجف .. الجليد فى كل مكان وفوقه بقع الدم .. هل النازيون لا يقهرون حقًا ؟ بالتأكيد .. إن (هتلر) يفطر بعشرة جنود روس كل صباح ... حين مات كل رجال الموقع وقفت وحدك رافعًا يديك تتوسل إلى الجندى الألمانى :

– « باجالوستا .. باجالوستا تافاريشتش .. نت ! نت ! »

لكنه لم يفهم .. أشار إلى رأسه .. وغمغم :

– « إيش فرشتهه نيشت .. فاز زاجن زى ؟ »

وانطلقت الطلقات لتمزق كتفك .. لم تفهم ما قاله إلا بعد أيام .. ولم يفهم هو ما قلت قط ..(*)

- (*) « من فضلك يا رفيق .. لا ! » « أنا لا أفهم .. ماذا تقول ؟ »

بعد الحرب .. العمل فى جهاز (كى جى بى) .. (ديمترى كالينين) وكل رجال الحزب .. ستكون عملينا فى الولايات المتحدة يا (بوريس) .. إنه لموقع حساس .. كالعادة ستكون مراقبًا ولربما امتلأت غرفة نومك بأجهزة التنصت .. لكنك لن تظهر ما يثير الشك ..

أخيرًا (إيجور) يقف أمام حجرة العقل الباطن الموصدة فى عقل (بوريس بودونسكى) ..

إنها مغلقة بإحكام بأفضل أنواع الأقفال الروسية .. لكنه كان يعرف ما يجب عمله ..

كانت هناك دبابة (شيرمان) نارية تقف فى الممر ، وقد راح مدفعها يدور ببطء حول محوره ... دبابة من أيام (ستالنجراد) تغطت جنازيرها بالجليد .. وفوق البرج برز (الجنرال) وقد غطى رأسه بفراء سميك ..

كانت حية .. قادمة من أعمق ذكريات (بوريس) ، وحينما رأى (الطوبجى) (إيجور) بدأ يعدّ المدفع للانطلاق .. ودار المدفع ليواجهه .. ثم ......

انطلقت القنبلة لتهشم الباب .. بوووووم !


أدار (إيجور) مقود سيارته ليعود بها إلى مكان الحادث ..

انفجار مروّع اهتزّ له المكان .. وكان (إيجور) قد نجا .. لأن الأفكار ليس لها تأثير مادى ..

لقد ملأ الدخان ردهات القصر .. صار الطريق مفتوحًا إلى النصر .. إلى قلب عقل (بوريس) ...

ونظر (إيجور) إلى المرآة ؛ ليرى ما يحدث فى السيارة التى تقتفى أثره ... لابد أن (بوريس) قد غاب عن الوعى الآن ..

كانت تحيد عن الطريق .. يتعرج مسارها ..

ثمة سيارة تعبر الطريق .. لكن سيارة السوفييت لم تنحرف ولم تبطئ من سرعتها .. و .....

التصادم !.. إنه الجحيم بعينه ..

السيارة تنقلب مرة .. مرتين .. ثم تسكن وتشتعل النار فيها .. وظلام الليل يكتسب لون اللهب ...

أدار (إيجور) مقود سيارته ليعود بها إلى مكان الحادث .. وأوقف المحرك وراح يرقب من زجاج السيارة الأمامى هذا المشهد المروّع .. الحطام المحترق ...

لقد غاب (بوريس) عن الوجود بينما هو يقود

سيارته بسرعة ثمانين كيلومترًا فى الساعة ..
إن مجرد احتراق سيارته ليعدّ نوعًا من الرحمة السماوية .. كان ينبغى أن تتحول السيارة إلى سحابة من الغبار ..

هذا الشىء المبتل .. آه ! إنها الدماء تسيل من منخريه كالعادة ..

وشعر (إيجور) بغصة .. لقد انتهى إلى الأبد هذا العقل الباطن .. بذكرياته وأحلامه وأحزانه .. بعد أن كان هذا موجودًا مجسدًا منذ ثوان ...

هنا سمع صوت سرينة عربة الشرطة ...

رأى ثلاث سيارات شرطة تحيط بالمكان .. وأضواؤها تحيل المكان إلى مهرجان من الألوان الحمراء والزرقاء ..

وسمع من يقول له :

ـ « هيه !.. أنت يا سيد .. لابد أنك رأيت ما حدث ..»

ابتلع (إيجور) ريقه وغادر مقعد السائق ؛ ليواجه الشرطى ..

وفى صوت مبحوح غمغم :

ـ « كان يقود بتهورغيرعادى .. لابد أنه كان ثملاً .. »

قال الشرطى وهو يخرج مفكرة من جيب قميصه الأزرق :

ـ « نريد عنوانك ورقم الهاتف .. ربما احتجناك شاهدًا على هذا الحادث .. »

* * *

عندما طلع النهار كان (إيجور) منهمكًا ...

راح يحزم حقائبه فى الفندق .. لقد انتهت اللعبة عند هذا الحدّ .. سيعود إلى (مانهاتن) اليوم ويقول للنجرال (فرايدمان) إنه انتهى .. لقد قام بما يريدون منه .. وهذه اللعبة خطرة .. خطرة تحرق أنامل اللاعبين غير المحترفين ..

ألم تحرق المحترفين أنفسهم حتى صاروا رمادًا ؟!

إنها ليست لعبته .. وهو لم يحب قتل هذين السوفتيين .. لقد كانا مواطنين يعملان من أجل وطنهما .. إنهما (شهيدا حرب) مهما كان رأى الجنرال فى هذا ..

إن ما حدث أمس لهو ....

قرعات على الباب ....

احتبس الهواء فى صدره .. اتجه ببطء نحو الباب

وأنصت السمع فلم يسمع شيئًا .. أنصت (الفكر) فعرف أن هناك ثلاثة رجال مسلحين ...

وكانوا يفكرون بالروسية !

* * *

مرت لحظات توتر ثقيلة .. بعدها سمع من يناديه على الجانب الآخر من الباب بإنجليزية غير خالصة :

ـ « جسبادين (تاركوفسكى) .. أنت هنا .. أليس كذلك ؟ »

ـ « مـ .. من أنت ؟ »

لكنه كان قد عرف ...

كان هذا هو (ديمترى كاليني) ومعه رجلان من السوفييت المقيمين فى الولايات المتحدة .. (ديمترى كالينين) هو واحد من عتاة ثعالب المخابرات .. مثله مثل (زاروف) ...

عرف (إيجور) كذلك أنهما لم يأتيا لقتلـه أو خطفـه .. بل جاءا ليقدما إليه (عرضًا لا يمكن رفضه) ...

هذا غريب .. كيف عرفوا مكانه ؟ وبهذه السرعة ؟

المهم أنه فتح الباب ..

لا يدرى لماذا تذكر موقفًا سابقًا لـه مـع رجلى المكتب الفيدرالى حين جاءا غير مدعوين إلى شقته فى (مانهاتن) .. لكن السوفييت يـأتون نهارًا .. ليسوا كالأمريكان إذن ..

فتح الباب ولا يدرى لما فتحه ...

كان يريد الانتهاء من كل هذا سريعًا ....

* * *

إن (ديمترى كالنين) رجل قصير القامة بشوش الوجه وديع كالأطفال .. ومعه شابان شديدا الوسامة والأناقة هما أقرب إلى ابنين بارّين له منهما إلى رجلى مخابرات ..

قال (كالينين) وهو يتخذ مجلسًا :

ـ « نحـن لن نعطلك كثيـرًا يا (جسبـادين تاركوفسكى) .. أنـت تعرف بـالطبع عمل رجال المخابرات وقدرتهم على ...... »

ثم نظر إلى الشابين متسائلاً ..

كان كلاهما عاكفًا على مسح كل ركن من الحجرة بجهاز فى يده بحثًا عن أجهزة تنصت .. وحين فرغا هزّ كلاهما رأسه أن الغرفة نظيفة فلا خطر هنالك ..

عاد الرجل يواصل حديثه :

ـ « .. أنت لا تعرف أن (زاروف) لم يمت فى الحادث .. فقط أصيب بعنف .. لكنه أخبرنا بكيفية إصابته .. هيه !.. اجلس يا (إليوشا) فأنت توتر أعصابى .. الحكاية يا (إيجور) هى أننا عرفنا كل شيء عنك من محضر الشرطة .. كنت هناك وقد عرفنا سيارتك .. وبالتالى وصلنا إلى هذا الفندق .. أنت غير محترف يا سيدى ، لهذا لم تغير اسمك ولا بياناتك فى المحضر .. وقد بدا لنا الأمر مألوفًا لأننا نعرف الكثير عنك .. هناك من يدعى (إدوارد مالكولم) يحتفظ بسجلات كاملة عن الموهوبين أمثالك .. هذه البيانات لدينا ونعرف كل شيء عن فريق الـ Espers الخاص بكم .. وكنا نفكر فى تجنيد بعضكم .. ما رأيك ؟ ليس عملاً ردينًا بالنسبة لعشر ساعات .. أليس كذلك ؟ »

فى صدق غمغم (إيجور) :

ـ « بـ .. بلى .. »

أردف (ديمترى كالينين) بنفس الرقة والتهذيب :

ـ « كان (بوريس بودونسكى) عضوًا نشطًا خدم

الحزب بإخلاص .. لكنه قد مات .. ونحن ـ معشر السوفييت ـ قوم عمليون يا (إيجور) .. لهذا جئت اطلب منك أن تكون عضونا الجديد .. صبرًا ! لا تنفعل .. إن وضعك بالذات يا (إيجور) يجعل منك عضوًا فريدًا .. فأنت نفسك عميل للـ CIA »

ثم نظر إلى الرجلين متسائلاً :

ـ « من القائل : إن خير جاسوس لك هو الجاسوس عليك ..؟ أتراه (خارين) ؟! »

قال أحد الرجلين مصححًا :

ـ « (كالنشوف) .. »

ـ « آه .. (كالنشوف) صديق (بيريا) .. لهذا ـ ترى ـ يا (إيجور تاركوفسكى) أنك ستقدم لنا خدمة غير مسبوقة .. وكل ما عليك هو أن تقرأ أفكار زملائك .. ثم تنقلها لى بقدرتك على (التخاطر) .. هذا سهل وخال من المجازفة .. »

للمرة الأولى قال (إيجور) جملة كاملة وسط كل هذه الثرثرة التى غمرته كسيل :

ـ « وماذا يجبرنى على خيانة وطنى ؟ »

- « أولاً : أنت لست أمريكيًا .. أنت بولندى .. أى من (لحمنا ودمنا) .. أنت رجلنا بشكل ما .. والأمريكان لم يكفوا عن اعتبارك بولنديًا لحظة .. فلماذا لا تكون كذلك ؟ »

وغمغم فى ثقة :

- « كل الملفات التى سهرتُ عليها البارحة تقول إن مشكلتك هى الاغتراب فى المجتمع الأمريكى .. فلماذا تكابر ؟ »

ثم أردف وهو يخرج علبة تبغ من جيبه :

- « ثانيًا : لنكن عمليين .. أنا أعرف أنك تعانى من نوبات صرعية متكررة .. لقد صادفنا نوبات كثيرة كهذه مع ذوى الإدراك الفائق للحواس ..، وقد تمكن أطباؤنا من السيطرة عليها باستعمال عقار معين ، ومن دون هذا العقار يؤسفنى أنك تدنو من نهايتك بخطى حثيثة .. وعندما تموت سيقول الأمريكيون : خسارة ..! لقد مات البولندى ، ثم يعودون إلى حياتهم بـ (براجماتية) يحسدون عليها .. »

- « أنت تكذب .. »

- يمكن طبعًا أن تعرف ما إذا كنت كاذبًا أم لا .. »

وكانت هذه هى الحقيقة .. كان الرجل يقول الحقيقة .. إنهم يملكون هذا العقار الثمين حقًا ..

وكأنما شعر الرجل بأن (إيجور) قد تحقق من صدقه ؛ عاد يقول فى ثقة :

- « أما عن الشىء الأهم الذى أقدمه لك .. فهو أن رجالنا يعرفون على وجه اليقين مكان (سيدلتز جابلر) ! الوثائق التى وجدناها فى (برلين) تؤكد لنا مكانه .. ولا داعى لأن أقول : إن الأمريكان يخدعونك بتقنية السلحفاة والجزرة .. إنهم لا يعرفون شيئًا على الإطلاق .. »

للمرة الثانية عرف (إيجور) مذهولاً أن هذه هى الحقيقة .. إن الجنرال (سيدلتز جابلر) يعيش متخفيًا فى (بوليفيا) .. ولكن (كالينين) لا يعرف المزيد عنه ..

قال (كالينين) وهو يخرج لفافة تبغ :

- « بالطبع لم أسمح لنفسى بمعرفة ما هو أكثر من رجالنا فى (موسكو) لأننى لا أنوى أن أكشف لك السرّ إلا بعد ما تقدم لى دليل نشاطك .. إنه نوع من .. من ..... »

- « تقنية السلحفاة والجزرة .. »

قالها (إيجور) فى إحباط .. فهتف الرجل فى حماس :

- « خاراشو !.. خاراشو !.. [حسن .. حسن] .. أنت تفهمنى جيدًا .. هكذا يعمل المرءوسون لرئيسهم .. وهكذا يطلب الرجال الزواج من النساء .. وهكذا يعمل جهاز المخابرات الجيد .. بانى مايتى ؟ [هل تفهمنى ؟] . غير أن جزرتنا نحن جزرة حقيقية ! »

عواصف كثيرة اجتاحت ذهن (إيجور) وهو يرمق هذا الرجل الودود اللعين .. إن عرضه مغر إلى حد كبير .. لكنه ينسى بغباء أن وطن المرء هو حدود ديار أحبابه .. و (إيجور) يحب (لارا) .. الآن فقط يعرف هذا .. ثم إنه يمقت الروس .. ألم يكونوا هم حلفاء (هتلر) فى غزو (بولندا) ؟...

ولكن .. إنهم يقدمون له رأس (سيدلتز جابلر) على طبق ذهبى ..

هل يقبل ؟ هل يأبى ؟

ولو أبى .. هل يتركه هذان الشابان الوسيمان حيًا ؟

ولو قبل .. كيف يمارس مهام عمله الجديد ؟ وبأى وجه ؟

كان لا يزال واقفًا جوار الباب ...

تائهًا فى مستنقعات ذاته .. حيث ضباب الحيرة وتماسيح الشك .. والحاجة إلى قرار ....

* * *

فى الجزء الثالث والأخير - إن شاء اللـه ولم أمت أنا (رفعت إسماعيل) الذى يروى لكم هذا - نعرف ما حدث .. ونشهد اللقاء الذى تأخر أكثر من اللازم بين الفتى وبين الجنرال ...

لن أترككم تنتظرون كثيرًا ؟

د. رفعت إسماعيل
القاهرة

* * *

رقم الإيداع : ١٦٠٦



روايات مصرية للجيب

أسطورة الجنرال العائد

القدرة على اختراق
عقول الآخرين .. هذه معجزة ..
الحياة في ضوضاء لاتنتهي من
الأفكار .. هذا كابوس ..
التورط في تروس آلة المخابرات
التي لاترحم .. هذه كارثة .....
أن تكون أنت بالذات من
نتحدث عنه .. تلك مأساة !

د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم :
أسطورة المواجهة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع